١٠٥٤
دار م. النحاس
1054
HARLEQUIN

انذار بالحب

كايت كينغستون

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

انذار بالحب

كايت كينغستون

«ما هي الخبرة التي تتمتعين بها؟»
جاءت ميريل إلى مكتب راي ترافس الملقب بـ«لوك» لتدفع فاتورة ما. لكنها خرجت من مكتبه وهي تفرك يديها فرحاً، فقد عينت في شركته كمساعدة له. والآن، ستحاول معرفة الاسباب التي أدت إلى وفاة ابنة خالتها إليز، وما هو الدور الذي لعبه راي ترافس والذي اودى بحياتها. والشيء الذي لم يكن في الحسبان، انه كان جذاباً ولذا، عليها ان تتجنب ذلك.

ثمن النسخة:
٢٠٠٠ل.ل
2000 L.L

«انني مصممة على البحث عن عمل جديد.»

وقف راي فجأة وهو يرتجف من الغضب الشديد قائلاً: «لماذا؟ امن اجل المال.»

«لا، ليس من اجل المال.»

قال والغضب مازال مسيطراً عليه: «إذاً، لماذا؟ لقد حققت لغاية الآن نجاحاً باهراً، لذلك حسبت أن ذلك يفرحك ويبهجك.»

اجابت ميريل بغموض: «العمل؟ آه، احب عملي هنا. وهل من الضرورة ان اقول لك عن السبب الحقيقي لترك شركتك؟»

اجاب بسخرية: «طبعاً، من الضرورة ان تفعلي ذلك.»

«في الواقع اننا مثل الزيت والماء اللذين لا يمكن فصلهما عن بعض.»

كايت كينغستون

ولدت كاتبة هذه القصة كايت كينغستون في يوركشاير، لكنها تسكن اليوم في نوتينغهام شاير مع زوجها الذي كان ملحقاً عسكرياً للقوات البريطانية في مصر، ولها ابنة وحيدة وحفيدان. من هواياتها: جمع الاشياء القديمة، والسير على الاقدام، والسفر، والتطريز، والتاريخ. كانت تطمح للكتابة منذ طفولتها، وجاءتها الفرصة عندما اكد لها احدهم ان رواياتها سوف تنشر في المستقبل، وهذا ما جعلها تصمم على الكتابة وتستمر.

الفصل الأول

توقفت ميريل للحظة، متسائلة ان كانت قد أتت إلى عنوان خاطىء. فالسطح من القرميد الأحمر، وباب المدخل طلي حديثاً باللون الأخضر، لكن هذا كله ليس له صلة بما تعرفه في الداخل. الا ان شيئاً واحداً جعلها تدرك انها وصلت إلى العنوان الصحيح، ذلك من اللوحة النحاسية المعلقة على الجدار وقد كتب عليها بضع كلمات تختصر التاريخ العريق لشركة التصاميم الخشبية.

حدقت ميريل في ما حولها في الفناء الخارجي للشركة غير متأكدة بعد. وعلى أعلى درجة من السلم كان هناك ضوء كهربائي ينبعث من ثريا، كما أن هناك رائحة طلاء جديد، ورأت على احد الجدران سجادة ملفوفة بغطاء بلاستيكي مرتب وقد عكس اشعة شمس آذار - مارس اللطيفة.

رفعت ميريل حاجبيها الكثيفين قليلاً وهي تفكر انه لا بد وان يكون هناك مكتب للاستعلامات يقوم بخدمة الزائرين. كل ما تحتاج إليه هو ان يستلم احدهم الشيك المصرفي منها ويحرر لها بالمقابل وصلاً بذلك، لكنها لم تجد أية علامة تشير إلى أين يجب ان تتجه، وبدا لها ان موظفي شركة التصاميم الخشبية غائبون تماماً.

تقدمت نحو السلم ورفعت رأسها إلى فوق ونادت: «عذراً! هل هناك من يسمعني؟ هل هناك من يستطيع ان...»

وتوقفت عن كلامها عندما سمعت وقع خطوات قوية، فالتفتت إلى مصدر الصوت لترى في الفناء رجلاً على عجلة من امره. اسرعت نحوه قائلة بالحاح شديد: «من فضلك! هل يمكنك ان تؤدي لي خدمة؟» ثم قالت في نفسها، وان كان في عجلة من أمره، فهو ليس الشخص الوحيد الذي يمكنه مساعدتي.

التفت الرجل، فلاحظت ميريل فوراً قامته المديدة والنحيلة والتي يخفيها تحت بذلة كحلية اللون. كانت ملامح وجهه تدل على الهدوء والرصانة، وقد رسم الحاجبان بشكل دقيق، وانعكست اشعة الشمس فوق خطوط الشيب بين شعره الأسود. لكن أكثر ما لفت نظرها عيناه اللتان كانتا تتوهجان وكأنما عينا اسد غاضب، وكأنه ليس مستخدماً عادياً في هذه الشركة بل لا بد وانه يحتل مركزاً مرموقاً فيها.

كانت نبرات صوته متعالية وهو يجيب: «نعم؟ آه، طبعاً... اسمعي يا آنسة.»

اجابت ميريل بسرعة: «آنسة ستانتون.»

«آنسة ستانتون، هل يمكنك ان تمهليني بضع دقائق؟ لقد دعيت لاجيب على الهاتف لأمر مستعجل وساكون معك خلال...»

فتح الباب اثناء ذلك واطل منه رأس فتاة شقراء نادت ملحة: «راي، اسرع ان مايك يطلبك من فلوريدا و...»

«حسناً كايت، سآتي في الحال. اللعنة على تلك الاتصالات الهاتفية المستمرة... آه تذكرت شيئاً، كايت، أعيدي الاتصال بالمهندسين وقولي لهم انني لا استطيع

البقاء على هذه الحال انتقل من مبنى إلى آخر في كل مرة...»

لم تسمع ميريل بقية كلامه لأنه كان قد اسرع في مشيته، ثم علا صوته قائلاً وقد تذكر أمر ميريل: «ساكون معك بعد ثلاث دقائق، يا آنسة ستانتون.»

اغلق الباب وراءه بسرعة، اما هي فقد ابتسمت بسخرية لأنها رأت من الفوضى ما لا يمكن وصفه لما شاهدته امامها.

جاء موظفو الكهرباء مع معداتهم، وبعد لحظات قليلة جاء رجلان واخذا يفكان السجادة الملفوفة بالغطاء البلاستيكي، فاضطرت ميريل للابتعاد عن طريقهما، ثم سمعت احدهما يقول للآخر: «الافضل لنا ان ننهي بسط السجادة بسرعة ودقة ونتجنب اتلاف اطرافها، لأن السيد ترافس...»

رمقت ميريل ساعة يدها فعليها ان تلتحق كسكرتيرة هذا اليوم الاثنين، انه عمل مؤقت تتدبر فيه امورها بينما تعثر على عمل يناسب مزاجها. وكان عليها بعد ان تنتهي من مقابلتها في الشركة، ان تبحث عن سكن لها، فبرنامجها لهذا اليوم مليء بالمشاكل مما جعلها ضعيفة التركيز وخلطت بين الاسمين اللذين سمعتهما منذ قليل وهما راي وترافس، فجأة اتسعت عيناها الرماديتان محاولة اخفاء دهشتها وهي تقول في نفسها، راي... ترافس يعني راي ترافس، هذا الاسم وقع عليه نظري مدوناً مرتين في مفكرة ابنة خالتي إليز، وكما انها اشارت إليه في مواقع أخرى بالحرف (ر) إذاً هذا هو راي ترافس... صاحب العينين

الذهبيتين واللتين تقولان لك، ابتعد عن طريقي فليس لدي وقت اضيعه معك. وحسب يوميات إليز، فإنه الرجل الذي امضى معها بضعة اسابيع في كوخها الريفي!

عضت على شفتها السفلى وتحسست بأصابع يدها المغلف الذي كان بحقيبتها والذي يحتوي على فواتير لم تسدد بعد من ثمن الخزانة المصنوعة من خشب الدردار والتي اشترتها إليز كقطعة اثاث رائعة تحمل اسم شركة التصاميم الخشبية، المعروفة ببضاعتها وتصاميمها الرائعة.

شعرت ميريل بغشاوة على عينيها الرماديتين حين تذكرت كم اتعبها وازعجها ان تلاحق اعمال وشؤون إليز من بعد وفاتها، خاصة انه لم يكن هناك من يقوم بهذه الأمور غيرها. كانت إليز تعيش على بعد مئتي ميل من الريف حيث كانت تمارس فن الرسم وقد ساعدتها الطبيعة هناك باستيحاء اجمل المناظر، كذلك منحت ميريل ايضاً شعوراً بالامان والانتماء اليها. وكثيراً ما كانت إليز تذهب إلى لندن حيث تمضي بضعة أيام في شقة ميريل. وكانتا تترافقان في زيارة المتاحف والمعارض الفنية. كذلك كانت ميريل تذهب احياناً إلى الريف حيث تمضي نهاية اسبوع مريحة وممتعة في كوخ براكن مع إليز. لقد امضتا معاً اسعد الاوقات... ومن المؤسف ان تلك الاوقات قد انتهت بموت إليز. فاضطرت ميريل عند ذاك ان تترك شقتها القديمة وان تعود إلى مدينة ميدلاندز حيث كانت قد ترعرعت فيها مع إليز قبل ان تفترقا وتشق كل منهما طريق حياتها الخاصة. التحقت إليز بمعهد للرسم حيث درست فن الرسم لمدة أربع

سنوات اظهرت خلالها مواهبها بكل براعة وامتياز، وكان ذلك قبل ان تقرر ميريل الالتحاق بمعهد لتعلم السكرتاريا.

فكرت ميريل بالواقع، يبدو ان الدقائق الثلاث التي ذكرها راي ترافس لم تكن دقيقة ابداً، كما انها لا تستطيع الانتظار أكثر، فالأفضل لها لو انها ارسلت الشيك المصرفي بواسطة البريد. لكانت وفرت على نفسها هذه المشقة.

مع ذلك لم تستطع مغادرة المكان، فهي لم تكن تتوقع ان ترى ذلك الرجل وجهاً لوجه، لأن إليز ذكرت اسمه بشكل بارز في يومياتها، وخصوصاً قبل يوم واحد من وفاتها. واحست انه قد اثار اهتمامها ولن تدعه يذهب دون ان تراه مرة ثانية، وكانت تقف وتردد في نفسها، لقد ماتت إليز اثر حادث سيارة. وهل يمكن ان يحصل حادث اصطدام مع إليز على طرقات نوتينغهام شاير الهادئة، والمستقيمة حيث نادراً ما تمر السيارات ولا وجود لمن يهوى المشي؟ هذا مع العلم ان إليز كانت سائقة ماهرة.

عادت ميريل مرة اخرى بافكارها إلى الوراء، وبالتحديد إلى ظهيرة يوم من ايام الصيف الفائت حيث كانت مستلقية مسترخية امام كوخ براكن فوق العشب الأخضر عندما كانت إليز تتكلم ضاحكة مع بعض اصدقائها وتطرقوا بالحديث إلى هوايتها المفضلة ألا وهي قيادة السيارات، فقالت بصوت مرح وعيناها تشعان بالسعادة: «احب هذه الهواية كثيراً، كما انني اجيدها بامتياز، فهي تثير الحماس الشديد في نفسي، مع انني اعلم جيداً ما يحيط بها من المخاطر التي لا يمكن انكارها. فبعد كل ذلك العمل المرهق في محترفي الخاص وبعد الضجر من هذا السكون العميق هنا، اشعر

بنفسي فجأة مندفعة لانطلق إلى مكان رحب فسيح... ساعية وراء اشياء كثيرة، اتمسك بها بقوة بعد ان احصل عليها.»

بعد مضي سبعة اشهر على حديثها هذا، وجدت سيارة إليز محطمة قرب شجرة وهي في داخلها.

كيف حصل هذا الحادث وبهذه البساطة؟ عادت ميريل تسأل نفسها من جديد، وهي تستعيد بذاكرتها ذلك المشهد المؤلم. ثم هل من المعقول ان تكون قد قررت القضاء على حياتها بنفسها؟ وبأنها قد فقدت الرغبة في حياة عابثة كالتي كانت تحياها؟

لا بد وان يكون هناك سبب وجيه وقاهر، ولا بد ان ينكشف لتتوضح خلفية الحادث ومعرفة ما كان يجول في رأس إليز في اليوم الأخير الذي كانت تتحدث فيه بمرح. وهذا السؤال المميز شغل بال ميريل دون ان تصل إلى جواب مقنع.

بعد هذا الحوار مع نفسها هزت ميريل برأسها وكأنها تريد ان تحدد افكارها اذ أن هناك شكاً بسيطاً يمكن ان يكون الطريق الأقرب للاجابة عن السؤال الذي يشغل بالها، وهو ان الرجل الذي تكرر الحرف الأول من اسمه على صفحات يوميات إليز والذي قد انقطع عن رؤيتها قبل الحادث بثلاثة اسابيع، ربما يعطي توضيحاً لهذا الغموض.

لكن لم يبقَ هناك مجالاً للتأمل اكثر في العلاقة التي تربط بين الحرف الأول من اسمه وبين اسمه الثاني، لأن راي ترافس كان يتقدم نحوها بخطى ثابتة تدل على ثقته بنفسه ليقول لها وبلطف: «آسف لأنني جعلتك تنتظرين طويلاً، هل نصعد سوياً إلى مكتبي؟» ولم ينتظر جواباً منها بل تقدم

امامها يرشدها إلى الطابق الثاني من المبنى الآخر. وكانت ميريل تتظاهر بالهدوء والسكينة، لكن احساسها كان ينبهها لتأخذ الحيطة والحذر منه.

كانت غرفة مكتبه في الطابق الأعلى واسعة وطلقة الهواء، طليت جدرانها باللون الابيض واحيطت النوافذ الثلاث باطار من الخشب مما اضفى رونقاً وبهاء على الغرفة ينعش النفس ويفرح القلب.

سحب مقعده وجلس وراء مكتبه قائلاً بجدية: «لا بد من ان اعتذر اليك يا آنسة ستانتون، لكن كما رأيت هناك مكالمات متواصلة يومياً، اضافة إلى اننا نجدد قسم الاستعلامات. وكان من المتوقع ان ينتهي العمل في نهاية الاسبوع الفائت، ولكن للأسف لم يتحقق ذلك. ولهذا فقد رأيتنا ونحن في اسوأ حال. ولكنني اعتقد اننا على وشك الانتهاء من كل ذلك.» انهى كلامه وهو يبتسم ابتسامة واهية ثم قال: «اترغبين بالقهوة؟»

«حسناً، انني فقط...» توقفت ميريل عن كلامها وقد فكرت بعد فنجان من القهوة قد يمكنها ان تعرف شيئاً عن راي ترافس. فرصة تمنحها القيام ببعض التحريات لكشف اللغز الذي يحيط بموت إليز، ثم تشرح له بعد ذلك سبب مجيئها. لكنها لاحظت تغيراً بسيطاً في ملامح وجه راي ترافس، اذ كان من الغريب ان يعرض عليها فنجاناً من القهوة، لكن ربما كان هذا من عادة الشركة لكي تحافظ على علاقة طيبة مع زبائنها، ولا بد انه اعتقد بأنها تريد شراء بعض الاثاث.

اجابته اخيراً برزانة وأدب: «نعم. أود بالفعل بعضاً منها وشكراً لك.»

كان ينظر اليها بطريقة وكأنه وجد شيئاً يلهي نفسه به، ثم علق قائلاً: «اعتقدت للحظة انك لا تملكين القدرة على الكلام. اتفضلين قهوتك سادة؟»

«نعم، من فضلك. بلا سكر.» واخذت تراقب تقدمه نحو آلة القهوة الموجودة قرب احدى النوافذ، وكيف تناول فنجانين من الخزانة برشاقة وخفة، وقد بدا عليه أنه يتقن عمله بكل سهولة.

أخذت تنظر بتكاسل إلى ما حولها وإلى ارض الغرفة الخشبي الذي كسي بسجاد فاخر. ولاحظت ميريل فجوة في الحائط معروض عليها بعض النماذج من مختلف انواع الخشب. وما لفت نظرها اكثر من أي شيء آخر، هو تفاحة خشبية من اللون الوردي ومن خشب القبقب، وقارورة من خشب الجوز، وعرنوس ذرة من خشب التنوب. تأملت ميريل هذه الأشياء باعجاب ودهشة، واحست بانها تغريها وتدفعها لأن تلتقط احداها وتتحسسها. كما لفت نظرها ايضاً، حصان برونزي وضع على طاولة صغيرة قريبة من تلك الفجوة في الحائط. لقد جمعت هذه الغرفة وبنجاح الشيء القديم والحديث، ومع ذلك فقد طغت عليها الإشياء الخشبية التي تذكر بالأموات وتبعد عن كل ما هو عصري وحيوي.

قالت له مستهلة الحديث عندما قدم لها فنجاناً من القهوة وعاد ليجلس وراء مكتبه: «انه فعلاً مكتب يبعث الراحة في النفس.»

اجابها برقة وعذوبة: «وكذلك شركتنا فانها تؤمن الجودة والراحة لكل من يتعامل معنا حسناً، والآن هل

نتطرق إلى العمل؟ فأنا وقتي ضيق كما لاحظت، ما هي الخبرة التي تتمتعين بها؟»

غصت ميريل بينما كانت ترشف القهوة، ثم قالت: «الخبرة؟»

«طبعاً، اذ يبدو عليك انك لم تتخرجي من الجامعة منذ وقت قريب، أو ربما كنت تحاولين التخصص بمجال أوسع؟ كم لك من العمر، يا آنسة ستانتون؟»

أجابت ميريل بتردد: «انني في الثالثة والعشرين ولكنني لست في الحقيقة...»

أجاب بسرعة: «لقد كان سؤالي غير ضروري، اوافقك في ذلك. لا يهمني العمر بقدر ما تهمني الخبرة والدقة في العمل، فأنا ابحث عن موظفة تكون أكثر من سكرتيرة لي، اظنك تفهمين ذلك. بمعنى آخر، اكثر من مساعدة شخصية، وقد اوضحت ذلك جيداً في الاعلان الصادر في الجريدة. انني بحاجة إلى موظفة مستعدة للالتحاق بي اينما ذهبت، تفكر عني وترسم الخطط العملية بدلاً مني، وفي الوقت نفسه تلبي كل رغباتي وحاجاتي. موظفة تكون داهية وواسعة الحيلة قابلة للتكيف طليقة اللسان واليقة دائماً، وفوق كل ذلك موظفة تريد ولا تمانع اي تورط كان.» وكان يتحدث بإيجاز عن المؤهلات التي يرغبها لذلك المنصب، ثم عاد بنفسه قليلاً إلى الوراء وقال: «الذي اريده في الحقيقة هو عين ساهرة لا تغفل.»

وضعت ميريل فنجان القهوة جانباً وقد احست برأسها يدور بسرعة وكأنها تقلب الأمور في رأسها وقد اتضح لها سبب ذلك الترحيب والاهتمام بها عندما التقت به في بادىء

الأمر في الفناء الخارجي للمبنى، ومن اسئلته المتلاحقة والتي لا علاقة لها بما جاءت من اجله، ومن ثم سؤالها ان كانت ترغب بالقهوة، كل هذا جعلها ترسم ابتسامة على شفتيها وفكرت انه مهما كان يعتبر نفسه بذات أهمية، فقد التبس عليه الأمر.

فتحت حقيبة يدها بهدوء لتتناول منها المغلف الذي يحتوي على ما تبقى من حساب إليز والذي يتوجب عليها ان تدفعه له كشيك مصرفي. فكرت بأن عملها هذا سوف يخمد كل حماس فيه! لكنها توقفت عن الذي كانت تريد فعله، ورأسها يضج بالأسئلة الكثيرة.

برق في عينيه وميض يدل على نفاد الصبر، ثم عبس وهو يقول: «يبدو عليك التردد والحيرة، يا آنسة ستانتون. هل هناك ما يسيء؟ أم انك تراجعين فكرك؟ ربما تعتقدين ان المركز الذي اعرضه يتطلب الكثير منك؟»

«حسناً، انني...»

وضع يديه على الطاولة وبدت اظفاره مقلمة بشكل انيق ونظيف ثم قال وكأنه يعلن نهاية المقابلة: «ان كنت تفضلين عدم متابعة هذه المسألة، فأرى انه يجب ألاّ يضيع احدنا وقت الآخر.»

ضغطت ميريل بأصابعها على المغلف في حقيبة يدها والذي يحتوي على بيان تشرح فيه مؤهلاتها وتعرف عنها، واخرجته ثم قدمته إليه قائلة بهدوء: «لا اعتقد بأنك ستجد بين هذه السطور اية اشارة حول التائق أو تلك العين الساهرة التي لا تغفل.»

بلعت بريقها وقد احست بشيء من الرعشة والاضطراب

بسبب ما قامت به والذي لم يكن له صلة بالذي اتت من اجله. أتحاول ان تواجه قدراً معيناً؟ فهذه الوثائق لم تكن موجودة بمحض الصدفة في حقيبة يدها، لأنها كانت على موعد مع مؤسسة تريد الالتحاق بها كسكرتيرة، وكانت هذه الوثائق تشير ايضاً إلى خبرتها العملية السابقة. واتضح لها الآن انها لم تعد بحاجة لذلك العرض من تلك الشركة ان وافق راي ترافس على مؤهلاتها، وبالتالي ان هي وافقت على شروط العمل.

استطاعت ان تراه الآن بوضوح، واخذت تحاول قراءة ملامح وجهه، بينما كان يطالع بامعان ودقة الوثائق التي قدمتها إليه. حكمت عليه ومن دون تحيز، بأنه جذاب للغاية. لكن كل من عرفتهم إليز من الرجال كانوا يفتنون العقول، انما راي ترافس، فهو شيء اكثر من ذلك، انه يوحي بالقوة والعظمة وبأنه قادر على ان يقوم بكل شيء بطريقة صحيحة ونافذة.

فكرت ميريل في ان العمل لديه لن يكون أمراً مسلياً بالنسبة لمن يعتقدون بأن لديه الوقت الضائع، انه من الواضح سيكون متعباً وصعباً، كذلك يتطلب منها السهر أربعاً وعشرين ساعة، لكن وفي الوقت نفسه، تأكد لميريل انه لن يكون عملاً مملاً.

وجهت ميريل نظراتها إلى شفيته المقوستين بدقة وتناسق رغم ما ظهر لها من قسوة تحيط بهما، وارتجفت ميريل فجأة عندما شعرت للحظة عابرة انها حسدت إليز عليه.

رفع راي ترافس نظره عن الأوراق ونظر إليها قائلاً:

«أرى ان عملك الأخير كان في لندن، ايمكن ان اسألك لماذا تخليت عنه؟»

فكرت ميريل بجواب مختصر وواضح لسؤاله، وهو ان تقول له ان ذلك يعود إلى رجل، لكنها عدلت عن ذلك وقالت: «لقد قررت ان اعود إلى بيتي حيث مسقط رأسي في مكان قريب من نوتينغهام.»

«فهمت. هل أنت مرتبطة؟ كأن تكوني متزوجة ولديك اولاد؟»

اجابت قائلة وبسرعة: «لا. ابداً.»

«عظيم، لقد طرحت هذا السؤال لأن العمل يتطلب منك السفر أحياناً، فهل يزعجك هذا؟» وعندما هزت ميريل رأسها نافية، طوى تلك الوثائق واعادها إليها قائلاً: «أنا راضٍ كل الرضى عما جاء في تلك الوثائق، واوافق على التحاقك بالشركة، يا آنسة ستانتون. واحب ان تعرفي بأنني رجل صاحب قرارات سريعة واعرف مسبقاً الأمور وقبل حدوثها، فهل تعتقدين انه يمكنك التعاون معنا؟»

اجابت ميريل بسرعة: «انني متأكدة جداً من ذلك.» احست ان شيئاً فيها يوخزها، ويدفعها لتوافق على شروطه لكي تكشف اللغز الذي يحيط بوفاة إليز، وليس راي ترافس وحده الذي يعرف مسبقاً الأمور أو يتوقع حدوثها قبل ان تحدث.

قال بلطف وقد اعتبر ان صمت ميريل دليل على قبولها العمل: «لنتكلم بأمر الراتب الآن؟ ستدخلين الآن في مرحلة تجريبية.» ثم سكت ليقرأ ملامح وجهها بهدوء للحظة وجيزة. خامرها شعور بأنه سيقوم من مكانه ليقف امامها

ويدقق بها من رأسها إلى اخمص قدميها كالذي يفحص الميزات الأساسية للفرس، فرفعت رأسها بتعالٍ ونظرت إليه ببرودة شديدة وهو يتابع كلامه بعذوبة: «اعتقد انه من الحكمة جداً ان تخضعي إلى فترة تجريبية.» وتوقف عن كلامه ليتابع التأمل فيها بموضوعية واهتمام بالغين، ثم قال بعد ذلك: «حسناً؟ هل توافقين على العمل؟»

اظهرت ميريل التردد عمداً، فهي لا تريده ان يلاحظ اهتمامها الشديد بذلك، وليس من اجل الاسباب التي يعتقدها. فوضعت ساقاً فوق ساق ثم قالت: «من المؤكد انك ترغب في مقابلة متقدمات اخريات لهذه الوظيفة.»

أجاب راي قائلاً: «لااعتقد بأنّ هناك من ضرورة لذلك بعد الآن، فالذي دفعني لأضع الاعلان عن هذا العمل في الجريدة، هو تجنب اضاعة الوقت عبر البريد، فمحادثة قصيرة معاً كالتي سبق واجريناها تفي بالغرض تماماً. كانت مساعدتي السابقة قد تركت العمل دون ابلاغي بذلك لاسباب عائلية، لذلك ارغب في استبدالها دون اي تأخير.»

تمتمت ميريل: «نعم، افهم الموقف تماماً.» وتنبأ احساسها بأن راي ترافس ليس من النوع الذي يترك مجالاً للمياه كي تجري من تحت قدميه دون ان يدري.

انه ينظر إليها الآن وهو يرفع أحد حاجبيه ليقول: «حسناً؟ انني رجل على عجلة دائمة من أمري، يا آنسة ستانتون، فهل أنت موافقة ام لا؟»

«نعم، يا سيد ترافس، أنا موافقة على الوظيفة.»

متى يمكنك البدء بالعمل؟ الاسبوع القادم؟ غداً؟ الآن؟»

شعرت ميريل ان الأرض تميد من تحت قدميها نتيجة

اقدامها السريع والجريء على هذا الأمر، فأسرعت تقول له بثقة وعزم: «لنترك ذلك للاثنين القادم.»

وقف قائلاً: «كنت آمل ان تقولي انه يمكنك البدء بالعمل غداً، لكنك اجلت ذلك للأثنين القادم. حسناً اتفقنا إذاً.» إبتسم لها ابتسامة باردة ثم تابع يقول: «اقر بأنني لم اتوقع اجابة سريعة على الاعلان الذي نشرته في الجريدة بحق، كان على كايت وهي سكرتيرة شريكي في هذه الشركة ان تكون الآن في ذلك الفناء تسجل وتدقق بالاسماء التي تصلنا إلى الشركة من اجل تلك الوظيفة، لكنك كنت اسرع عندما جئت قبل ان يكون ذلك. واريد ان ابلغك ان غداً ستنتهي ورشة ترميم المبنى ومن ثم يأخذ العمل وضعه الطبيعي من جديد، و...»

قطع الكلام عليه، رنين الهاتف الداخلي، فمال إلى الآلة الصغيرة وضغط على احد أزرارها ثم بدا مصغياً باهتمام عندما قال: «حسناً، سأذهب خلال لحظات قليلة. كايت بالمناسبة، لقد أشغلت الوظيفة الشاغرة، ومع ذلك اعتقد بأنه يمكنك تسجيل اسماء وعناوين اخرى، فقد نحتاج إليها في المستقبل.»

ضغط راي مرة أخرى على الزر منهياً المكالمة الداخلية، ثم التفت إلى ميريل قائلاً بطريقة جدية: «شكراً لك، يا آنسة ستانتون، يبدو اننا نعاني من ضغط شديد في العمل.» قال ذلك ثم توجه نحو الباب وفتحه، ووقف جانباً ليفسح المجال أمامها في الخروج قائلاً: «اعتقد بأننا سنتفق جيداً، هذا ان كنت لا تخشين الأعمال الصعبة.»

أجابت ميريل بلطف: «حتى الآن، ليس لدي اعتراض على شيء.»

«عظيم. سأنبهك إلى انك ستضعين كل خبرتك وطاقتك خلال عملك معي.»

«نعم، لاحظت ذلك، يا سيد ترافس، فانا على ثقة بأنني سأكون عند حسن ظنك.»

ابتسمت ميريل ابتسامة واسعة ومتكلفة في حين بدت ملامح وجهه هادئة ورزينة وهو يقول: «حسناً، إذن. إلى اللقاء الاثنين القادم عند تمام الساعة التاسعة، من فضلك.»

مشت ميريل أمامه وهي تشعر بدوامة تلف رأسها، ثم هبطت معه السلالم وخرجت بعد ذلك إلى الشارع العاصف. وشعرت بأنها قد خضعت لامتحان دقيق ومفصل لم تتوقع يوما انها ستخضع لواحد مثله. وتساءلت، كيف استطاعت إليز ان تحتمل راي ترافس؟ فعشرون دقيقة في شركته جعلتها تشعر بأنها مشدودة الاعصاب كأنها ترتقب شراً.

لم تدرك انها لم تسدد حساب إليز الا عندما كانت تجول على وكلاء العقارات من أجل تأمين شقة سكنية. وان يكن، فيمكنها انهاء ذلك الاثنين القادم حيث انها ستصبح عنصراً له اعتباره ومركزه في شركة التصاميم الخشبية، ومساعدة خاصة للرجل الذي جعلها بطريقة أو بأخرى تشعر بإحساس غريب.

الفصل الثاني

كانت ميريل مع اقتراب الساعة من الثالثة من بعد الظهر قد خارت قواها لكثرة التنقل بين مكاتب السماسرة تبحث عن شقة لها، ولم توفق في ذلك مما جعلها تتذمر قائلة في نفسها اثناء جلوسها في أحد المقاهي تتناول فنجاناً من الشاي، يبدو أنه ليس من السهل العثور على مسكن. ثم مررت بأصابع يدها على الطاولة المرمرية وهي مسترسلة بالحديث مع نفسها قائلة، ولكن لا يمكن للمرء أن يحقق كل ما يريده في وقت واحد، فاليوم عثرت عن طريق الصدفة على عمل لم لكن اتوقع أن احصل عليه بهذه السرعة ودون أن أبذل أي مجهود.

أسلوب راي ترافس في المقابلة التي أجراها معها، منعها من أن تطرح بعض الاسئلة حول العمل الذي ستقوم به فقد لمست مدى قوة شخصيته التي تفرض نفسها. والآن وبما أن تلك الخدعة قد انطلت عليه، لديها مجال واسع لتفكر ان كانت قد قامت بالعمل الصحيح. انه من المؤكد أن السبب الرئيسي لقبولها تلك الوظيفة، لا علاقة له بالعمل الذي ينتظرها، لكنها كانت تطمح من ورائها أن تقربها وأن تلقي بعض الاضواء على موت إليز المحير. فكرت ميريل بكآبة، انها لا تستطيع أن تتصور كيف أن الحياة تنقلب احياناً على صاحبها وان كان في الامكان اعادة إليز إلى احضانها من جديد. لكن وبالنسبة لميريل، فانها تؤمن بأن الحياة تتطلب

منها ارادة قوية كي تستطيع من خلالها أن تواكب ايامها المقبلة.

ثم أخذت ميريل لائحة اسماء السماسرة وشطبت منها اسماء اللذين زارتهم من أجل الحصول على شقة. كانت تعتقد بعد أن صدمت بموت إليز وحزنها عليها، انه من الأفضل لها أن تترك شقتها في لندن لتستقر في مكان ما من ميدلاندز. كان كوخ إليز الذي تحول إلى ميريل من بعد وفاتها، مناسباً جداً، لكن من الصعب عليها أن تعيش في غابة شيروود البعيدة، حيث يلزمها ساعة من الوقت للوصول إلى عملها وساعة اخرى لعودتها منه. كما ادركت أن راي ترافس ليس من النوع الذي يتقبل اي عذر عن اي تأخير مثل ازدحام السير وعدم الوصول في الوقت المحدد. وليس من الصعب عليها أن تجد من يستأجر الكوخ، وقد سبق أن ذكر جارها سيمون كليفورد بأن احد معارفه يرغب في السكن في تلك المنطقة.

مع نهاية النهار، وفي حوالى الساعة الخامسة، وجدت شقة صغيرة في شارع تمتد الاشجار على جانبيه، ففرحت بذلك وفكرت بأنه يجب اقامة احتفال على أن يكون الاحتفال مضاعفاً. كيف لا وقد عثرت في يوم واحد على عمل وسكن، كما انها شعرت بانها أصبحت أكثر أمناً لكن قلبها كان يعصر الما وهي بعيدة عن ماكس الذي كان لها معه ذكريات لا تنسى في لندن.

أرادت ان تحتفل بالذي حققته في هذا اليوم ففكرت بكوخ براكن الذي ورثته عن إليز. لكن كيف يمكن لأي انسان ان يحتفل وحده؟ فذلك أمر مناف للأصول. كانت ميريل تفكر

بهذا الأمر دون ان تعطي اهتماماً للطعام الذي في طبقها. وتملكها شعور بالوحدة والهدوء بعد يوم حافل بالاحداث، وفيما هي على هذه الحال، كانت أشباح الماضي تلاحقها بعنف وقوة، خاصة ان البلدة التي استقرت فيها أخيراً هي مسقط رأسها.

حاولت بعزم شديد ان تبعد عنها تلك الذكريات المؤلمة، ولكنها بقيت تلاحقها دون رحمة. انها الآن هنا من أجل ان تنهي شؤون واعمال إليز، وايضاً من أجل ان تمنح نفسها اسبوعاً ترتاح فيه من العمل الذي كانت تشغله في لندن. لقد أمضت وقتاً مضنياً وهي تلاحق شؤون إليز وكأنها تقحم نفسها في حياتها الخاصة، لكنه أمر يجب ان تنهيه، خاصة وانها صاحبة الحق الشرعي في ذلك. كانت إليز قد باشرت برسم بعض اللوحات التي كلفت بها والتي لم تستطع انجازها، وكان على ميريل ان تراسل بعض الأشخاص من أجل ذلك وأن تجري العديد من الاتصالات الهاتفية. لذا عليها قبل أي شيء ان تقرأ وتعرف كل شيء عن حياة إليز الخاصة من تلك اليوميات التي كانت تكتبها دون ملل أو كلل، لكنها كانت تشعر في عملها هذا وكأنها تحشر نفسها في أمور لا تعنيها. مر هذا الأسبوع التعيس عليها في ذلك الكوخ، والجو العاصف يحدث حفيفاً باحتكاك أوراق الشجر والأمطار تنهمر بغزارة محدثة صوتاً مرعباً على زجاج النوافذ فكانت تزيدها كآبة وحزناً.

تذكرت في جلستها هذه، اليوم الذي ذهبت فيه إلى لندن وكانت في امس الحاجة إلى ماكس وعلمت وقتها بأنه قد حول عاطفته إلى امرأة أخرى.

حاولت ان تقنع نفسها بأنه ما من جدوى تنالها في ان تعيش على تلك الذكريات وتنسى ما كان لها لتفكر بالذي سيأتي. فسكبت لنفسها شراباً منعشاً، ثم شربته بسرعة وخرجت لتقول لسيمون كليفورد بأن الكوخ قد اصبح جاهزاً لسكن صديقه.

وجه راي الملاحظات إلى ميريل في يوم عملها الأول، رفع حاجبه وكأنه يستطلع ادراك ميريل لدقة نظام عمله، بينما كانت هي تطأطىء رأسها، فقال لها: «كانت مساعدتي السابقة اليسون نظامية وعملية جداً، وكانت حاذقة بتدوين الملاحظات اليومية للعمل وفي الاشراف على ملفات الشركة، لذا فلن تعاني من اية مشكلة لمعرفة كل التفاصيل التي تتعلق بارتباطاتي وتحركاتي المستقبلية، ذلك بما يختص بالوثائق التي سأحتاجها في رحلتي إلى بروجز في الشهر القادم. فعليك بالطبع ان تلاحقي بدقة وانتباه دفتر ملاحظاتي ومواعيدي ساعة بساعة. وستلاحظين بانني افضل النظام العملي القديم عن تلك التقنية الحديثة التي يعتمدونها اليوم. على اية حال، فنحن مؤسسة يعود تأسيسها إلى وقت بعيد جداً.»

ابتسمت ميريل وتمتمت: «ربما ترغب في ان أخلق لك اسلوباً جديداً في الكتابة وان احفر على الصفائح النحاسية؟» وانّبت نفسها على ذلك القول الطائش الذي تفوهت به، لكنه جعلها تتوتر بتعاليه وبثقته الشديدة بنفسه وبهالة العظمة التي يحيط نفسه بها.

نظر اليها نظرة جعلها تخجل من المداعبة الرخيصة التي حاولت ان تطرحها وقال: «لا، ابداً.» ثم نظر إلى ساعته

بوجه عابس ليتابع قائلاً: «يجب ان أخرج لساعة أو ما يقاربها، لذا اقترح عليك في ان تتصرفي بالأسلوب الذي نعتمده في ملفاتنا، وان تحاولي ان تتأقلمي أكثر في أجوائنا. وأقول لك، ان اليسون اعتادت بسرعة على اسلوبنا، ولا اشك في انك ستكونين مثلها ايضاً، يا آنسة ستانتون. فقد كنت دائماً اعتمد عليها في مراسلاتي التجارية، وعلى هذا الأسلوب سأستمر، وكما قلت لك اننا مؤسسة قديمة، ولنا تطلعاتنا المستقبلية المليئة بالعزم والنشاط، وهذا أمر ضروري في هذه الأيام. أرجو ان لا تجدي هذه الأمور مخيفة وفوق طاقتك؟»

انتصبت ميريل في وقفتها ونظرت اليه نظرات جريئة وحازمة، فهو على اية حال، رئيسها ورب عملها، لكنه يتصرف كأنه مراقب لا رحمة عنده للعمال. فقالت له: «تقول مخيفة وفوق طاقتي؟ لا اعتقد ذلك، لأنني تحملت مسؤولية كبرى في عملي السابق.» كانت تعلم ضمنا ان ما قالته ليس صحيحاً بالتمام، ولكنها تريد ان تعطي راي ترافس انطباعات جيدة عن نفسها. قارنت بينه وبين رب عملها السابق والذي يكبره سناً، بأنه كان يتكلم معها بلطف وهدوء في مكتب ديكنسيان. وبرزت تلك الكذبة البيضاء، ان اعتدادها بنفسها كان يفرض عليها ان تقول له ذلك.

قطع راي ترافس حبل افكارها: «هل قلت شيئاً مسلياً؟»

«آه، لا، لا.» قالت ميريل ذلك وفتحت درجاً، ثم سحبت منه ملفاً واظهرت بسرعة اهتمامها بمحتوياته.

ابتعد راي عنها قائلاً: «عظيم، سأتركك تطالعين ما فيه، لأنني خارج وسأعود بعد ساعة تقريباً، وعندما اعود

تحضرين دفتر الملاحظات إلى مكتبي لأنني أفضل ان انهي كل مراسلاتي قبل موعد الغداء.»

أجابت ميريل بهدوء: «نعم يا سيدي.» وقد لاحظت على راي هذه المرة انه أكثر تصلباً وقوة مما كان عليه عندما أجرى معها تلك المقابلة، مما جعلها تتعرف إلى شخصيته أكثر فأكثر. مزاجه اليوم دفعه لأن يستعمل معها تعبيراً مثل امور مخيفة في العمل وفوق طاقتها. انه من صنف الرجال الذين لهم القدرة في ان يسحقوا اناساً اضعف منهم، لكنها تهيأت وتحصنت لتجابه تحديه لها.

كانت أول انطباعاتها حوله، بأنه رجل قاس ومتطلب. وساءت نفسها، بينما بدأت تفهم العمل المتنوع الذي لمسته من قراءة الملفات. من قال ان لندن هي المدينة الوحيدة التي تكتظ فيها الأعمال والاشغال؟

كانت غرفة مكتبها، انيقة ومضيئة وتبعث على الاطمئنان والهدوء في النفس، ويفتح بابها مباشرة على غرفة راي الفسيحة. وكان قد اطلعها على ان دوام العمل في الشركة من التاسعة ولغاية الخامسة من بعد الظهر، ولكن في الحقيقة كان يطول الدوام إلى أكثر من ذلك، وقد انجزت الآن التصليحات. ولردهة الاستقبال موقع مؤثر في النفس من الاضاءة إلى الأثاث الانيق، وقد زينت بالزهور البديعة والمنسقة والتي كانت ترسل بانتظام بواسطة عقد متفق عليه مع بائع للازهار. ان شركة التصاميم الخشبية لم تبق على مجدها القديم، بل تابعت عملها بنجاح وقد ذاع صيتها أكثر وأكثر في البلاد، ولم يمض وقت طويل على ميريل لتكتشف بأن وراء كل هذا المجد والشهرة للشركة، هو راي،

ومن يقول انه الرجل الديناميكي الذي لا يهدأ، فانه لا يفيه حقه.

بعد مرور أسبوع من العمل لديه، توقف راي عن مناداتها بطريقة رسمية. وكان في أكثر الأحيان ينادي عليها قبل ان تنهي العمل الذي أوكله إليها قائلاً: «ميريل، تعالي والقي نظرة على هذا الشيء.» وكان يتوجب عليها ان تترك ما بين يديها وتجلس معه ليشرح لها بايجاز العمل الذي ينوي القيام به. وفي بعض المناسبات يطلب رأيها في بعض الأمور، لكنها وعندما تبدي رأيها، لا يبدو عليه اية ردة فعل، ذلك كي لا تعرف ولا بأية طريقة من الطرق ان كان راضياً كل الرضى عن معالجتها وادارتها للعمل. لكن ومع مرور الأيام، وجدت نفسها تعمل معه اكثر بكثير من ذي قبل، مما اضطرها إلى ان تكلف بالمهام الروتينية واليومية في مكتب الشؤون العامة في الطابق الأسفل.

فكرت ميريل بعد نهاية يوم طويل متعب، وكانت قد حققت انجازات مهمة ومرضية، بأنها لولا الصدف، لما حصلت على عمل هيأ لها اجواء لا تنكرها بالماضي. كان راي يتصرف معها عملياً. لم يكن ينظر إليها كامرأة بل كان يعتبرها ساعده الأيمن للمهام الملقاة على عاتقه في الشركة. كانت ميريل تصفه بالرجل المنغلق على نفسه، وهذا أمر جيد بالنسبة لها، لأنها لا تريد ان تتورط في علاقة غرامية في حقل عملها، خاصة وان الاسئلة قد تزايدت حول ما كان له من ارتباطات بـ إليز والتي تأمل في ان تحصل على اجوبة عنها.

أجواء الربيع الحارة جعلت الأزهار تتفتح في الحديقة

المهملة خلف شقة ميريل، ودندنت بينما كانت تقطف بعضاً منها. لقد قررت أن تبدأ قريباً بالاعتناء بتلك الحديقة، وهذا ما سيجعلها تقوم بشيء مفيد خلال عطلة نهاية الاسبوع. ما هي الطريقة الأفضل لزراعة الجذور وما هو الوقت الأنسب لها من فصل الربيع؟

وضعت بعض ما جمعته من تلك الأزهار في وعاء من الفخار على نافذة غرفة مكتبها، والبعض الآخر في مكتب راي الذي دخل عليها بينما كانت ترفعها لتضعها فوق رف عال من خزانة الكتب، توقف واخذ يراقب ما كانت تقوم به، ولسبب تعذر عليها معرفته، شعرت بتورد خديها خجلاً.

فقال لها معلقاً: «يا له من أمر بديع، لا أعتقد ان هناك سيدة أحضرت لي زهوراً من قبل.»

تمتمت ميريل: «ربما لم تلتق بالسيدة المناسبة.»

«ربما كذلك. اذاً ما هي المناسبة؟ أجواء الربيع؟»

أجابت ميريل: «شيء من هذا. فلِمَ لا تجلب قليلاً منه إلى المكتب؟»

سببت لها نظراته الفضولية ارباكاً وخجلاً، لذا تابعت قائلة باسلوب عملي: «على أية حال، انها ما تبقى من بعد الذي وضعته في وعاء الفخار خاصتي، وفكرت انك ربما تحب شيئاً منها.»

قال بتكاسل شديد: «آه، وأنا الذي اعتقدت انك احضرتها خصيصاً لي، يا لها من صراحة جارحة حطمت فؤادي.»

ابتسمت ميريل وقالت معلقة: «يصعب عليّ ان أصدق ما أسمعه منك.»

تمتم قائلاً: «ستتفاجئين. والآن، اعتقد انه ينبغي علينا ان

نبدأ بالعمل. هناك تقرير مطول واريد منك ان تنجزيه قبل موعد الغداء، ان امكنك ذلك. هيا احضري دفتر ملاحظاتك ولنباشر بالعمل.»

في وقت آخر من ذلك الصباح، طلب منها راي ان تدون تواريخ بعض الاجتماعات الماضية من اجل زبون معين، وبينما كانت ميريل تقلب صفحات دفتر ملاحظات السنة الماضية، تفاجأت باسم إليز وعنوانها. بدّل ما قرأته من حالتها الطبيعية، وشعرت بانحراف مؤلم في معدتها مما لم تتوقع ان يقع نظرها عليه، ولم تستطع لبضع لحظات سوى ان تحدق بالاسم والعنوان المألوفين لديها.

أغلقت دفتر الملاحظات بوهن. ادركت انه من الطبيعي ان تجد هناك ذكر آخر لاليز، ومن دون ادنى شك ان اسمها مدون أيضاً في دفتر ملاحظات راي الخاص به والذي يحمله معه اينما يذهب. شعرت بانفاسها تضيق في صدرها وقد تذكرت الهدف الحقيقي لقبولها العمل مع راي، إذ عليها ان تبدأ تحركها لتتوصل إلى تلك الأجوبة التي تحيرها، ولكن ولسبب تجهله احست بنفسها مكرهة على تنفيذ ذلك الآن.

اعتادت مع تعاقب الاسابيع، ان ترى راي يصل قبلها إلى العمل، جالساً خلف مكتبه، أنيقاً وكأنه يصرف وقتاً طويلاً ليبدو في اجمل حالاته، شعره الداكن الذي يخطه الشيب مسرح ومنظم، بينما يمسك بالبريد الذي يصله بوجه عابس ومتأمل. في إحدى المرات عندما وصل مرتدياً سروالاً مقلماً وسترة واسعة، نظرت إليه بدهشة واعجاب، أسرع يقول لها بلطف: «لا يثيرك هذا فأنا ما زلت انا.» ثم توقف ليتابع قائلاً بمعنى: «أو ربما ذلك يثيرك فعلاً.»

أجابت ميريل: «آه، اذاً لقد لاحظت ذلك عليّ؟» وتمنت لو انه لم يظهر عليها الاعجاب والدهشة.

«حسناً، لقد اخبرتك منذ مدة بانني لست سهلاً في اختياراتي؟» توقف ليتابع بعد لحظة وقد تغيرت نبرة صوته: «هل اعجبك نظام عملنا؟ انه من الصعب عليّ ان افهم شيئاً من تعابير وجهك الهادئة والمتزنة.»

أبعدت ميريل نظراتها عنه لتشغل نفسها باعادة ترتيب بعض الأوراق. انها المرة الأولى التي يأتي على ذكر ملاحظة شخصية كهذه، ولم يكن الكلام في ما بينهما على نحو شخصي، بل انها كانت دائماً المساعدة وهو الرئيس المسؤول.

أبدت اهتمامها وهي تقول: «آه، انني راضية تماماً عن وظيفتي هذه. من الأفضل ان اتحقق من هذين الطلبين قبل ان اقوم بأي شيء آخر.» حولت نظرها إلى الأوراق التي كانت بين يديها وكأنها ترفض ان تنظر اليه.

«وأود منك ان تتلقي وتعالجي كل اتصالاتي الهاتفية. فأنا لا أريد اي ازعاج الا اذا كان الأمر ضرورياً جداً، وأكرر عليك القول، اذا كان ضرورياً جداً. سأكون الآن في غرفة الرسم لأقوم ببعض التعديلات في بعض التصاميم.» ثم نهض عن مقعده ليتابع قائلاً: «لا اعتقد بأنك شاهدت محترفي الفني، اليس كذلك؟ تعالي معي اذاً.»

كان المحترف الفني عبارة عن غرفة صغيرة اثاثها خفيف تتوسطها طاولة خصصت لرسم التصاميم ووراءها كرسي خاص، وخزانة وضعت مقابل احد الجدران، كما اضيئت الغرفة بضوء نير وشديد لدرجة ان ميريل استطاعت

أن ترى بوضوح الخطوط الدقيقة حول عينيه، كما وانها لاحظت ايضاً عينيه اللتين تفرضان نفسهما عليك بالقوة.

قال موضحاً من جديد: «اذاً، لا أريد مقاطعات اليوم عدا ان تأتيني بالقهوة من وقت إلى آخر. وان صادفتك اية مشكلة، اسالي مايك فريمان بشأنها.»

اخذت ميريل نفساً عميقاً، وقد شعرت بعدم ارتياح من تقربه الشديد منها في غرفة صغيرة كهذه، ومن كتفيه العريضتين تحت سترته الصوفية ذات اللونين البيج والأسود، فتحركت لتبعد نفسها عن كل هذا، وابدت اهتماماً بلوحة زيتية علقت على الحائط وقد رسمت باسلوب فني رائع وملفت للنظر.

سالته ميريل: «أهي احدى رسوماتك؟»

هزّ رأسه ايجاباً وهو يقول: «احب مزوالة الرسم من وقت لآخر.»

«انها فعلاً رائعة وقد نفذت بجمال وذوق.» كان هناك اضطراب في نبرة صوتها وتكلمت بعد ذلك بتمتمة مرتبكة وهي تقول: «أحب ان أرسم، وبالألوان المائية في أغلب الأحيان.» ما الذي دعاني يا ترى لأن اعطيه معلومات كهذه؟ تساءلت وهي تشعر بتخدر تام، وكانما يهتم بالهوايات التي تمارسها!

علق دون ان يبدي اي اهتمام وقال: «صحيح؟ فهناك على ما اعتقد معرض للوحات في نهاية هذا الشهر.»

تساءلت ميريل بدهشة في ما لو انه كان يقترح عليها ان يذهبا سوياً إلى ذلك المعرض. ولكن، لِمَ يحاول ذلك؟ فهو لم يصوب لها منذ بداية معرفتهما، نظرة لها معنى، أو اشارة،

أو كلمة أوضح فيها انه يهتم بها شخصياً. فاسرعت تقول له: «قد أذهب لمشاهدة ذلك المعرض، هذا ان سمح وقتي بذلك.»

كان هذا أمراً سخيفاً يبعث على الضحك، فعندما تخرج من عملها عادة، تشعر بفراغ كبير لا تعرف كيف تملؤه، ولم يكن ما قالته سوى كذبة بيضاء تخرجها من ارتباكها الشديد.

تقدم راي ليفتح باباً يؤدي إلى معرض صغير وهو يقول لها: «هناك شيء آخر لم تريه بعد، تفضلي بالدخول إلى هذا المعرض الصغير الذي يضم نماذج لمنتوجات شركة التصاميم منذ بداية عهدها، وقد كانت تسمى هذه الشركة باسم مختلف عما هو اليوم.» أزاح الأغطية التي كشفت عن طاولة لفطور الصباح على الطراز الريجنسي، وخزانة ذات أدراج عديدة على الطراز الفيكتوري، وأوعية للنباتات على الطراز الادواردي، ومكتبة مصممة باناقة وذوق. وجميع هذه الأشياء ترجع إلى أوقات زمنية معينة كانت رائجة خلالها. سحرت ميريل بهذه القطع وأخذت تتفحص كل منها باعجاب ودهشة، ثم اخذ راي يشرح لها كيفية صنع طاولة تتميز عن غيرها بجارور سري لا يمكن معرفة مكانه سوى الذي يملك طاولة من هذا النوع.

قالت ميريل وهي لا تستطيع اخفاء دهشتها مما ترى امامها: «انها أشياء رائعة.»

«نعم، انها فعلاً كذلك، ومن نوعية خشب ممتاز ومن الدرجة الأولى، على أية حال، فهذا ما نقدمه دائماً للزبائن الكرام.»

قالت ميريل بارتباك: «نعم...» وقد احست بشيء في داخلها يشدها اليه لما أظهره من الفة وانسجام معها. وعادت تفكر بمنكبيه العريضين، بينما كان هو يميل إلى الحائط يراقب ردات فعلها، فتسارعت دقات قلبها ولم تتمكن من متابعة النظر اليه. فقالت وهي تعيد الأغطية فوق تلك القطع: «لقد تركنا المكتب كلينا، فيجب ان اعود اليه.» ثم تابعت وكأنها كانت تبحث عن كلمات تقولها لكثرة ارتباكها الشديد: «شكراً للعرض الذي قدمته إلي.»

خرجا من ذلك المعرض الصغير، فقال راي بينما كان يقفل الباب وراءه: «هذا من دواعي سروري. آه، بالمناسبة، لقد ذكر لي بوب تيلينغ في قسم المحاسبة انك قد دفعت ما تبقى من ثمن لقطعة اشترتها زبونة تقيم في غابة شيروود.»

تجمد الدم في عروق ميريل وقالت في نفسها، زبونة من غابة شيروود، ابهذه الطريقة يصرف إليز عن تفكيره؟ ولماذا فتح الموضوع في هذه اللحظة، وبينما كانت تريد العودة إلى مكتبها لتهدأ مما كانت تعاني منه من اضطرابات في داخلها والتي ارهقتها في تلك الدقائق المنصرمة.

هزّت رأسها ايجاباً وقالت: «نعم، انها من إليز ماسترز.»

قال راي: «صحيح. من أجل ثمن الخزانة.» ولما لم تتكلم ميريل تابع يقول: «طبعاً، فأنا لا ادقق عادة بحسابات اي زبون كان، لكن هذا الأمر استوقف بوب مستغرباً. ويا لها من صدفة غريبة فعلاً، على اية حال، هل تكون إليز صديقة لك؟»

إذن، ان راي لا يعرف حتى ان إليز قد توفيت! لكن كيف له ان يعرف؟ وقد قرأت في يوميات إليز أن علاقتهما كانت قد

انتهت قبل ثلاثة أسابيع من وفاتها. وقالت بعد تردد بسيط: «انها ابنة خالتي.»

«فهمت.» ثم تحول إلى طاولة الرسم وازاح عنها الغطاء وكأنه لم يعد لديه اهتمام اكثر في ذلك الموضوع. فحدقت ميريل بظهره، وبدا لها انه نسي تماماً حضورها.

عقدت ميريل العزيمة وهي تقول لنفسها، من المؤكد انني سأتوصل إلى فك رموز هذا اللغز، لكن لا بد ان يكون هناك وقت أفضل من هذا. كما أنها لم تتعرف اكثر بعد على شخصية راي وعليها ان تستغل الفرصة المناسبة عندما تأتي، والا فانه قد يحطمها.

كانت ميريل في مساء اليوم التالي تطالع بدقة في ملف جمع كل ما قدمته الشركة من اعلانات في الصحف. كان يومها حافلاً بالعمل، مع كايت سكرتيرة مايك فريمان. وكانت تشعر بالتعب الشديد عندما أظلمت الدنيا باكراً كما هي العادة في شهر آذار - مارس الموحش وقد جلست وحيدة في المكتب، لكنها قفزت هلعة عندما سمعت ضجة في غرفة راي، ولما فتح الباب بهدوء اسرعت تلتقط سماعة الهاتف، ثم اعادتها إلى مكانها عندما ظهر راي امامها، فقالت لاهثة بينما كان قلبها يخفق بشدة: «آه... هذا أنت؟»

«نعم بلحمي ودمي. لماذا تسألين؟ ومن الذي كنت تتوقعينه؟»

«لا أحد... أعني... كنت على وشك الاتصال بالشرطة، لأنني افتكرت ان...»

«أنني متطفل ما؟» ومال إلى خزانة الملفات فكشف معطفه القصير عن سترة انيقة ومن تحتها قميص ناصعة البياض.

«حسناً، من الممكن ان يحدث هذا.» قالت بضعف وهي تشعر بانزعاج في داخلها من تصرفه المرح.

«لكن من المستحيل ذلك، فالحرس موجودون في الطابق الأسفل، وهذا ما تعرفينه جيداً، كما ان المكان كله مليء بصفارات الانذار.» ثم تحرك ليقف إلى جانبها ويتابع كلامه قائلاً: «كيف حال العمل معك؟ وأرجو ألا تظني بأنه حان الوقت لتعودي إلى بيتك؟»

أجابت ميريل بعذوبة: «صحح لي اذا وجدت اية اخطاء تصدر عني، لكنني اقول لك بصراحة، انني أشعر دائماً بأنه عمل متعب لا يتوقف.»

«اعتقد ان اي عمل تقومين به هو كذلك. وأفهم أن المسألة هي ما تفضلين ان تقومي به أكثر من أي شيء آخر. وأرجو ان لا تعتبريني رئيساً قاسياً لا يرحم.»

نظرت إليه ميريل غير مصدقة: «لا؟»

أجاب ببساطة: «أرى انك لا تصدقين كلامي، حسناً ولأثبت لك ذلك، تعالي معي واتركي كل هذه الأعمال، سأوصلك إلى بيتك... بالمناسبة، أين أوقفت سيارتك؟»

اسندت ميريل ظهرها إلى المقعد وهي تشعر بالارهاق الشديد وقالت: «تخضع لبعض التصليحات.» ثم فركت عينيها وتابعت تقول: «وماذا بخصوص هذه الأعمال المترتبة عليّ، اعتقد انه يجب ان أعيد النظر فيها.»

«لا بأس من ذلك. أرى انك مرهقة ولن تقوي على فعل شيء أكثر من ذلك، وسوف تنجزين هذا العمل في الغد.»

تمتمت ميريل قائلة: «يا له من قول مريح وبسيط بالنسبة لك.»

نظر اليها بحدة قائلاً: «لكل خطاب جواب.» ابتعد عنها ليتناول سترته الصوفية من المشجب في زاوية الغرفة ثم قال: «حسناً، هيا بنا. ما الذي تنتظرينه؟»

غطت ميريل الآلة الكاتبة بغطاء خاص بها، وتقدمت لتأخذ منه سترتها، لكنه رفعها اليها ليساعدها في ارتدائها، فادخلت ذراعيها في الكمين وأخذت تسوي من قبة السترة الواسعة، فلمس خدها بيده دون قصد منه، عندها شعرت باضطراب شديد في داخلها فتحولت بعيداً عنه وقد فكرت بكلام تافه لتقوله له كي تخفف مما تعاني منه. فسألته مظهرة عدم الإهتمام: «كيف عرفت بأنني لا أزال في المكتب؟»

«بكل بساطة، فقد كنت ما تزالين هنا عندما خرجت، ولما عدت لاحظت ان غرفتك مضاءة، وأنك لم تغادري بعد. هل أنت جاهزة؟»

انطلقت سيارته السوداء الأنيقة بهدوء حيث يخفّ ازدحام السير ليلاً، فسألها: «إنك تسكنين في شارع برومللي، اليس كذلك؟»

«نعم، من فضلك. لكن كيف عرفت عنواني؟»

أجاب ببرودة: «اهتم كثيراً بقراءة ملفات المستخدمين عندي.»

«آه، طبعاً. لقد طرحت سؤالاً سخيفاً.» وحولت ميريل نظرها لتنظر إلى الخارج. شعرت بعدم ارتياح، فقد يكون هناك شيء مثير للعواطف وحميم في مشاركة ركوب السيارة مع رجل... وخاصة عندما كانت الموسيقى النابولية تنساب بهدوء من آلة التسجيل وعلى الأخص مع

رجل ساحر مثل راي. ومن دون ادنى شك، انها ليست المرأة الأولى التي تدرك ذلك. من المؤكد انه سيلتقي بواحدة منهن هذه الليلة ومن ثم يأخذها إلى مكان هادىء وشاعري. حاولت ميريل ان تتصور كيف يمكن ان تكون رفيقته لكنها لم تستطع. وعادت بأفكارها اليه وكيف كانت إليز تجده جذاباً، بل أكثر من ذلك، وقد ادركت ذلك من قراءتها ليوميات إليز، عدا بعض الرموز الغامضة التي لم تفهمها عنه والتي ظهرت قرب الحرف الأول من اسمه، فمن المحتمل ان هذه الرموز لا يعرفها أحد سوى راي وإليز.

«هل أنت ذاهب إلى مكان خاص؟» سألت ميريل باشراق عندما طال الصمت بينهما وقد أصبح ثقيل الوطأة.

«نعم، لكن من أجل تناول طعام العشاء فقط.» ثم وبعد ان اجتاز ضوء الاشارة الأخضر تابع يقول بتكاسل: «اعتقد انك تشتاقين إلى أضواء شوارع لندن المنيرة. لكن عودتك إلى هذه البلدة لتستردي ما كان لك ليس بالأمر السهل.»

رمقته ميريل بطرف عينيها، وتساءلت كيف تبدو بالنسبة إليه، لو فكّر فيها مرة، عدا عن تقديره لكثافة جهودها في العمل. وهل انها كشفت دون تعمد منها، شكوتها من الوحدة في ظل ظروفها الحاضرة؟ فهل وفاة إليز وهجر ماكس لها قد جعلا منها مدعاة للشفقة؟ انها لا ترغب ابداً في أن تكون فتاة لا صديق لها ووحيدة في بلدتها التي تغيرت عليها كثيراً. وان تقضي لياليها تشاهد برامج التلفاز أو في أعمال منزلية متنوعة.

سألته ببراءة ظاهرة: «ماذا تعني؟»

أجابها راي: «ان يعود المرء إلى مسقط رأسه ليس بالأمر

الجيد. لأن الأشخاص الذين يتوقع مشاهدتهم مرة اخرى قد تفرقوا، والأشياء التي اعتاد عليها يراها تبدلت وتغيرت.»

قالت ميريل بحيوية وهي تضغط بأصابع يديها على حقيبة يدها: «آه، انني لم أر الأمر كما تتصوره انت، فحياتي الاجتماعية اكثر مما تتوقع، كما انه ليس في هذه البلدة حياة ليلية كالمدينة. لكنني اقول لك انني لا اشكو من أي فراغ، خاصة في عملي الجديد معك.»

نظر اليها نظرة انزعجت لها، وكأنه يمتحن فيها صدق كلامها، ثم قال لها: «لقد انذرتك وشرحت لك سابقاً عن شروط العمل لدي، لكنك وكما لاحظت اسرعت بالموافقة عليه وكأنك تهربين من امر يضايقك، أو ربما تريدين ملاحقة ذلك الامر.»

أحست ميريل بتصلب شديد في أعضائها وتساءلت عن شدة ملاحظته ثم قالت: «لا، ليس كما تظن، أنت عرضت عملاً وأنا وافقت عليه. ولذلك وفرت علي عناء التفتيش عن آخر، فاكثر ما تستطيع الحصول عليه في هذه الأيام، اعمال ليست دائمة بل مؤقتة.»

«حسناً، أرجو من حياتك الاجتماعية الصاخبة ان تسمح لك بالسفر إلى بروجز في الأسبوع المقبل، وأطلب منك ان تتصرفي تماماً باسلوبك العملي الدقيق الذي عودتني عليه، ولا بد انك أخذت أمر هذه الرحلة في الحسبان في دفتر مواعيدك الخاص.»

استوت ميريل في جلستها، وأخذت تحدق في صورة وجهه الجانبية قائلة: «بروجز؟ تعني بأنني سأذهب إلى بروجز معك؟»

«لا تتظاهري انك لم تتوقعي ذلك! انها مدونة في دفتر الملاحظات، اليس كذلك؟ لا تقولي لي انك لن...»

أغمضت ميريل عينيها وفتحتهما وكأنها لا تصدق ما تسمعه ثم قالت: «لا... لا، ان الأمر فقط...»

كانت قد اعتقدت بأن الحجز قد تم له ولشخص آخر تجهله وقد يكون مايك فريمان. ولم تدرك قط بأنها ستكون هي التي سترافقه في رحلته هذه. فقالت بعد ذلك: «لم اتوقع بأنك تريد مني مرافقتك.»

أجابها بلطف: «ولأكون صادقاً معك، انني بحاجة لوجودك إلى جانبي... كمساعدة لي.»

قالت ميريل بثبات: «طبعاً، وهل يمكنني ان اعترض على ذلك؟»

نكرها بجفاء: «لقد أشرت عليك بأن العمل قد يتطلب السفر احياناً وتقبلت ذلك بإذعان وقتها.»

«نعم اشرت علي بذلك ووافقت عليه من جانبي. كما انني أتوق جداً لرحلة كهذه.»

قالت ميريل ذلك ثم رفعت يدها لتنظر إلى الساعة في معصمها، فقالت بدهشة: «تباً، هل تأخرنا إلى هذا الحد؟» هذا ما استطاعت قوله فقط، لأنها كانت تفكر بأمر تلك الرحلة إلى بروجز مع رجل قد جعلها تختلج في داخلها عندما عرض عليها ان يوصلها إلى منزلها.

رفع حاجبيه الكثّين وقال بسخرية: «هل أنت في عجلة من امرك؟ أرجو بأن تفانيك في القيام بواجباتك العملية لم يؤخرك عن ارتباط مهم.»

قالت ميريل في نفسها: لا أعتقد ان تأخري عن اي ارتباط

قد يهمك، ثم قالت له: «لا أبداً، يمكنني تدبر امري.» على أية حال، عادت تقول لنفسها، لا يمكن ان يكون موعدي مع الطلاء ارتباط مهم. لكنها كانت تتوقع ان تنتهي هذه الليلة من طلاء جدارين في غرفة الجلوس.

بينما أوقف سيارته امام منزلها، شعرت ميريل باضطراب في داخلها. صحيح ان راي كان قد ذكر لها في تلك المقابلة بأن العمل يتطلب السفر احياناً، وكانت قد وافقت بملء ارادتها على ذلك، لكنها الآن، وفي حالة التوتر التي تعيشها ومن مزاجها العكر، يبدو لها ان ذلك الأمر محفوف بالخطر. ان الرحلة معه ستكون رحلة عمل بحق، لكن قد يكون هناك بعض الهفوات حتى ولو كان العمل كثيراً، وقد تمر بلحظات تتعزز المودة بينهما، أو بالعكس تصبح عدائية، والذي يبدو انها تنمو بينهما. وفي كلا الحالتين، فيومين تمضيهما مع راي في بلد غريب عنها لن يقلقاها وهذا ما قد خبرته منه منذ بداية عملها معه منذ بضعة اسابيع.

دخلت منزلها وخلعت عنها ملابسها الرمادية، ثم ارتدت ملابس الرياضة ورفعت شعرها إلى ما فوق رأسها لتبدأ بطلاء الجدارين الباقيين في غرفة الجلوس وقد حاولت ألا تفكر بأمر تلك الرحلة.

الفصل الثالث

كان يوم السبت من أيام الربيع حاراً ينكر بفصل الصيف وبالحديقة غير المنسقة والتي تقع وراء بيت ميريل، بدت نباتاتها وكأنها تحتمي من وهج الحرارة في الاختفاء بين الجدران القرميدية المتداعية. وميريل مازالت تعتزم على العمل في الحديقة فهذا سيمكنها من ان تزيل قلقها واضطرابها الفكري الذي تعاني منه. فخرجت إلى الحديقة فوراً وأخذت تقطع الحشيش بحزازة قديمة كانت قد وجدتها في المخزن التابع للمنزل.

أمضت ساعة من الوقت تزيل الاعشاب التي تعيق نمو النباتات، وقد عزمت ايضاً على ان تستأصل الهندباء البرية، ومن بعدها ترتاح لتتناول فنجاناً من القهوة، ومن ثم تنطلق لشراء حاجياتها الأسبوعية، وبعد كل ذلك ستخرج إلى نادي اليخوت الذي التحقت به لتأخذ بعض الدروس في هذا المجال. على الأقل هذا، سيريح بالها وخاطرها لبعض الوقت، لكن عليها اولاً ان تنتهي من اقتلاع تلك الهندباء البرية.

انحنت تحفر التراب بيديها الاثنتين إلى ان توصلت إلى جذور الهندباء وشدت بقوة وعزم حتى تمكنت من سحبها لكنها فقدت توازنها وسقطت سقطة قوية فوق تلة من الأقذار والأوراق اليابسة التي كانت قد جمعتها، فقالت متذمرة: «اللعنة!» لكنها سخرت من نفسها وهي تحاول الوقوف بصعوبة، وفكرت ان تعود إلى كوخ براكن هذا الأسبوع

لتأتي بأدوات الحديقة والتي كانت من ضمن الأشياء التي دونتها على القائمة. فكيف ستحصل على عمل جيد ومتكامل دون المعدات اللازمة لها؟

التفتت نحو المنزل، ثم شعرت بالدم يتجمد في عروقها. لقد وجدت راي ترافس يقف ضاحكاً في أعلى السلم الذي يؤدي نزولاً إلى الحديقة. فقالت لنفسها كردة فعل أولية، يا له من رجل جذاب وساحر! ولكن، ماذا جاء يفعل هنا في صباح يوم السبت هذا؟

مشت ميريل نحوه ببطء وهي تتمنى لو انها لم تكن مرتدية تلك البلوزة الصفراء ذات الياقة العالية ولا تلك السروال الأخضر القصير. ومع ان عينيه كانتا ثابتتين، لكنها شعرت بانه قد لاحظها تماماً من شعرها الأشعث والذي كان نصفه ما يزال معقوصاً فوق رأسها والنصف الثاني تتدلى دون تنسيق، وإلى قرطين في إذنيها من اللونين البرتقالي والأصفر، وذلك لأنه كان يوم سبت مشمس من ايام عطلتها الأسبوعية.

سألها راي: «اتعانين من بعض المشاكل؟ وما هي هذه الجواهر الغريبة، اهذا افضل ما ترتديه البستانية هذه الأيام؟»

«مشاكل؟ نعم، يمكنك ان تقول ذلك، ولكن في استطاعتي ان اعالج اموراً كثيرة.» قالت ذلك وهي ترجو من عدم المبالاة التي اظهرتها، في ان تخفي حمرة الخجل التي غمرت وجهها، ثم تابعت، قائلة: «اما بالنسبة إلى الجواهر التي تتكلم عنها، فقد اعتقدت انها تتناسب لبستانية مثلي.»

كان هناك شبه ابتسامة لكثرة ما ضحك قبل لحظات

قليلة، وكانت ميريل تتمنى لو انه يبتعد عن المدخل كي تتمكن من ان تتجاوزه وتدخل إلى المنزل.

«ما ترتدينه... تتناسق الوانه بشكل يلفت النظر.» ولما لم تنطق بكلمة واحدة تابع قائلاً: «الأخضر والأصفر ـ يمكنني القول انك تبدين مثل زهرة ربيعية.»

تعمدت الضحك ثم قالت: «لكنني لست كما تصفني، وانا على هذه الحال من الارهاق والتعب. لكن من المؤكد انك لم تأت لتتكلم فقط عن شكلي الخارجي.»

«لا، لكنني اضطررت للذهاب إلى المكتب لاعيد النظر في مبيعات هذه المقاطعة، ولم اجد تلك الأوراق في ملفاتك، ان فقدانها يتنافى ودقة عملك خاصة انها اوراق مهمة.»

اسرعت تقول له: «لقد اقفلت عليها بالمفتاح وهي في درج مكتبي، لأنني لم انته منها بعد. وانتظر مايك كي يزودني ببعض التفاصيل عنها، سأحضر لك المفتاح من حقيبة يدي.»

قال باقتضاب: «لست في عجلة من أمري، واقدم اعتذاري لك لأنني قاطعتك عن عملك.»

«آه، انك لم تقطع عليّ شيئاً في الحقيقة، وكنت على وشك ان اعد بعض القهوة.» قالت ميريل ذلك وندمت سريعاً عندما سمعته يقول لها: «عظيم، انك تعرفين ضعفي امامها.»

انذرته قائلة: «انها قهوة سريعة، وليست كالتي تشربها عادة.»

«تباً لك، انك حادة الطباع هذا الصباح. على أية حال، لا مانع عندي من تناول القهوة السريعة، هل تسمحين ان اساعدك في تحضيرها؟» كان مايزال يرسم شبه تلك

الابتسامة التي اخذت توخز ميريل كالأبر ومن دون شك انه كان يشعر بارتياح ورضى لمباغتتها وهي على هذه الحالة المخجلة.

قالت له بعذوبة: «آه، اظن انني استطيع تدبر امري، فكما تعلم، التعليمات مدونة على العلبة.»

«ربما، كان عليّ ان اقول لك انك حادة الطبع هذا الصباح كحد السيف.»

اجابت ميريل ببرودة: «بما انك عزمت على البقاء قليلاً، فستجد كرسيين قديمين في المخزن...» واسرعت تدخل إلى المنزل متجهة إلى غرفة نومها كي تضع عليها فستاناً، لكنها، وبعد ان اخرجته من الخزانة اعادته إليها سريعاً قائلة لنفسها، ان حركتي هذه قد تعني له شيئاً فالأفضل ان ابقى على ما انا عليه حتى ولو كان الأمر محرجاً.

قالت وقد وضعت صينية القهوة على طاولة بينهما: «اخبرني، هل تذهب دائماً إلى المكتب ايام السبت؟ اعني الا تمنح لنفسك إجازة من ذلك العمل؟»

«ماذا؟ هل تقدمين اقتراحاً؟ أمر مخجل منك.»

تورد خدا ميريل خجلاً واسرعت تقول: «لا، ابداً، كنت فضولية. ان الجواب ليس مهما. بالمناسبة، كيف عرفت انني في الحديقة؟»

«لقد قرعت جرس الباب ولم ألق جواباً. كما انني لم ار سيارتك تقف في الجوار فظننت انك خارج المنزل. ومع ذلك، جلت حول المنزل كمحاولة اخيرة، وكما ترين، فقد نفعت خطوتي تلك.»

قالت ميريل بتكاسل: «توقعت ان يكون الجميع خارجاً،

لذا اوقفتها في مكان بعيد.» ثم اضافت بعد ان رشفت من فنجان القهوة: «هاك مفتاح درج مكتبي.»

«وهكذا تكون زيارتي قد انتهت. حسناً، كنت اعلم ان زيارتي سوف لا تكون مرضية.»

تورد خدا ميريل خجلاً وقالت: «آسفة، ان بدوت فظة معك، ولكن...»

اجابها باستهزاء واضح: «اعرف أنك مشغولة، لكن هل تمانعين لو انهيت فنجان قهوتي؟»

«آه من فضلك، لا تستعجل بسببي.»

«حسناً. بالمناسبة، هل يسعدك الاهتمام بأمور الحديقة؟»

«كان يسعدني الأمر أكثر، لو ان لدي الأدوات اللازمة لها... لقد كان والدي مهندساً في فن تحسين المناظر الطبيعية والشوارع والمباني، أما والدتي فكانت تدير شؤون مشتل زراعي، كانت متخصصة بالورود القديمة، تعرفها، انها تلك...»

«نعم جميلة جداً ولها اسماء يصعب لفظها.»

ابتسمت ميريل قائلة: «أتعرفها؟»

«لقد زرعت بنفسي نوعين منها، اين والديك الآن؟»

«لقد توفيا.» قالت ميريل ذلك ومالت قليلاً لتضع الفنجان فوق الصينية. ثم شعرت ان تصرفها كان جافاً وفظاً فتابعت تقول: «لقد قتلا في حادث سيارة في فرنسا.» وتذكرت ميريل ان والديّ إليز كانا قد قتلا ايضاً في ذلك الحادث، عندها، اصبحت وإليز قريبتين أكثر من بعضهما البعض.

قال لها راي متأسفاً: «انني آسف فعلاً لذلك، كلمة تأسف لا تكفي.»

«هذا كل ما يستطيع اي شخص ان يقوله. وماذا بشأنك، ألا يحق للسكرتيرة المساعدة ان تطرح على رب عملها اسئلة شخصية كهذه؟»

عاد يرسم شبه ابتسامة على شفتيه قائلاً: «تباً، من اين جئت بهذه الفكرة؟»

«أنت الذي اوحيت لي بهذه الفكرة.»

«ان والديّ قد توفيا، لكن هناك زوجة والدي وأخ منها يدعى روب. سوف يلتحق بالشركة، ستلتقين به. انه الآن في إجازة ويمارس هواية التزلج لآخر مرة قبل ان يذوب الثلج مع اقتراب فصل الصيف.» وضع راي فنجان القهوة على الصينية ثم وقف وبدا أطول من أي وقت آخر. وقد ارتد إليه اسلوبه العملي والرسمي وهو يقول: «لن اضيع من وقتك أكثر، لكن لا تجهدي نفسك وتذكري بأننا سنسافر إلى بروجز يوم الثلاثاء المقبل.»

لا يمكنها ان تنسى أمراً كهذا، وإن حاولت.

دخل راي صباح يوم الاثنين غرفة مكتب ميريل، وكان مقطب الجبين حين قال لها: «من فضلك، اعطني ملف تشارلتون، لقد حصل شيء جديد. يبدو انني سأسرع في الذهاب إلى لندن اليوم، حاولي ان تصنفيها لي. سيكون عمل شاق وطويل.»

اعترضت ميريل بينما كانت تناوله الملف: «لكن... ماذا بشأن رحلة الغد إلى بروجز؟»

«أعرف، أعرف.» قالها بذهول وهو يتفحص أوراق الملف. ثم تابع قائلاً: «سأستقل قطار بعد الظهر وامضي ليلتي في لندن، كما انني سأحاول ان احضر عشاء عمل مع

تشارلتون لنتباحث ببعض الأمور معه... اريد منك ان تحجزي لي غرفة في الفندق كالمعتاد وسوف التقي بك غداً في مرفأ فيكتوريا جيتفويل، ومعك بطاقتا سفرنا وجوزات الفندق في بروجز، ولا تنسي ان تحضري معك برامج عملنا هناك، اثق بأنني أضع أموري وشؤوني بين ايدٍ أمينة.»

لمست ميريل انهماكه الكلي باللقاء الوشيك بينه وبين تشارلتون، وكان هذا الأمر من الأشياء التي كانت تعجبها فيه، ألا وهو اقدامه بصدق واخلاص في أي عمل يقوم به. لكنه اتصل بها بعد عدة لحظات من غرفة مكتبه ليقول لها: «لن اكون بحاجة إليك طوال الوقت في بروجز، لذا يمكنك ان تأخذي معك بعض الأحذية الخفيفة والمريحة لكي تتمكني بنفسك من مشاهدة معالم بروجز.» ثم رفع نظره بعد لحظات ليرى انها تقف عند مدخل غرفته، فابتسم لها وفي عينيه نظرة لم تدرك فهمها، فتابع قائلاً لها: «وبما انك فنانة في حقل الرسم، اعتقد انك ستسرين بالمتاحف العديدة هناك، كما يمكنك ايضاً رؤية منحوتات مايكل انجلو سوف انتظر منك بعد ذلك انطباعاتك المعبرة في هذه الفنون البديعة.»

أجابته بهدوء: «لم أدَعِ مرة انني فنانة، انني فقط اهوى الرسم، ولذا، لن يساعدك رأيي فيما تريد معرفته... وبالنسبة ليوم الغد، فأنا لن اتأخر وسيكون كل شيء على أحسن ما يرام. ولا استطيع منع نفسي عن التساؤل، لماذا شخص عظيم الشأن مثلك لم يقرر السفر إلى بروجز بالطائرة؟ لكان الأمر أسرع وأسهل.»

قال دون مبالاة وهو يضع الأوراق داخل حقيبة يده: «من أجل سبب بسيط، ذلك ان أليسون التي كانت تشغل مركزك...

تخاف السفر بالطائرة. وكانت تقوم بالحجوزات كافة، ولم اجد الآن اية اهمية لأن اطلب منك ان تغيري ذلك، خاصة وانك تتذمرين من كثرة العمل.»

قالت ميريل معترضة: «انني لم اتذمر مرة واحدة.»

تابع وقد تجاهل كلامها: «بالاضافة إلى ذلك فإن حياتي في الميدلاندز تجعلني استمتع برحلات قصيرة في البحر. بالمناسبة، ارجو ان لا تكوني ممن يعانون من دوار البحر.» قال ذلك ونظر إليها نظرة حادة.

قالت ميريل بتحد: «لا تقلق، لن أحرجك.»

«عظيم، لذا لن يكون هناك أي داع للقلق.»

فكرت ميريل في نفسها وهي تجلس بارتياح وراء مكتبها بعد ما غادر، يا له من كلام سهل عليه قوله. كانت مغمورة بخوف شديد مما سيحدث لها معه في اليومين المقبلين. تمنت لو كان راي ترافس رجلاً في الخمسين من عمره، اصلع وله بطن ضخم وقليل الحركة مثل رب عملها السابق، فقلما كانت في مثل هذا الاضطراب الشديد، وتذكرت انه ليس لديها اي مجال لتفكر بهذا الأمر، خصوصاً وان راي كان قد ترك لها اعمالاً كثيرة لتنجزها.

كان جرس الهاتف يرن متواصلاً عندما وصلت ميريل إلى المكتب في صباح اليوم التالي، رفعت السماعة وجاءها صوت راي على نحوٍ قاطع يقول لها: «يبدو انني نسيت ان احضر معي جواز سفري، أعرف تماماً انه عمل احمق مني... ستجدين مفتاحاً آخر لمنزلي في خزانة الامانات في مكتبي و...»

قاطعت ميريل كلامه قائلة: «سأذهب مباشرة إلى هناك بعد

ان اتحقق من البريد، اطمئن سأجلب لك جواز السفر معي.»

«عظيم. إلى اللقاء اذاً بعد ظهر هذا اليوم.» واقفل الخط قبل ان تتمكن من ان تقول له وداعاً.

أوقفت ميريل سيارتها أمام منزل راي ثم خرجت منها وهي تتأمل المنطقة البديعة في ضواحي البلدة، فرأت أربع طواحين هوائية ترتفع من الناحية الشمالية وفكرت، انه المكان المناسب الذي يمكن ان يختاره رجل رفيع المستوى مثل راي ترافس ليعيش فيه، لأنه مكان مميز ويختلف عن غيره من الأماكن في تلك المنطقة. شعرت حيث كانت تقف في الفناء الخارجي للمنزل، ان وراء تلك الجدران أهم أسباب ووسائل الراحة. انتهزت الفرصة لتلقي نظرة شاملة على المنزل وما يحيط به، ففي المنحدر هناك، موقف للسيارات ومخازن تابعة للمنزل. كان سطح المنزل الخشبي مطلي باللون الأخضر وجدرانه حجرية ورمادية اللون تحيط بها شجيرات وورود كالتي تكلم عنها سابقاً. فكرت ميريل وهي توزع نظراتها عليه. لا بد ان مشهد المنزل في الصيف يبدو مثل لوحة فنية رائعة!

انتقل تأثيرها مما شاهدته خارج المنزل إلى الداخل. ففي القاعة الداخلية والواسعة رتب الأثاث فيها، والأشياء المتعددة تنبض بالحياة وتريح النظر، تبعث شعوراً هادئاً في النفس وكأنه جيء بها من الطبيعة نفسها هذا ما يجعلك تحس انه بلمسات راي واحساسه المرهف قد تم اختيار الاشياء وتنظيمها.

بقيت للحظات طويلة تنظر متأملة في تلك القاعة الفسيحة والتي فرشت بسجاد مخملي ثمين بلون ازرق داكن والذي

انسجم مع لوحات زيتية بديعة ومع المقعد الطويل المطلي باللون المشمشي. كما وضع على الطاولة التي أشار إليها راي، مصباح كهربائي ابيض اللون، ولكن لا وجود لجواز السفر.

ترددت ميريل ولم تدر ماذا تفعل، فالوقت كان يمر بسرعة وعليها ان تدرك القطار الذي سينقلها إلى لندن وعليها في هذه الحالة ان تفتش على جواز السفر، لكن هذا قد يؤخرها. ففتحت الباب الأول من تلك القاعة لتجد نفسها في غرفة خصصت لتعليق معاطف وقبعات الزائرين، اقفلت الباب وتقدمت إلى آخر القاعة لتدخل إلى غرفة للجلوس تطل نوافذها على منظر رائع لغابة تربض فوق المنحدر. لكنها ادركت ان لا وقت لديها لتمتع نظرها بذلك المنظر، ولا وقت ايضاً لديها لتحدق ولو قليلاً في ذلك الأثاث الكتاني، فأسرعت تقفل الباب لتواصل تفتيشها على جواز السفر، انتقلت إلى غرفة الطعام، كانت الطاولة كبيرة يدعمها حجران منحوتان وفوقها زجاج سميك. توجهت ايضاً إلى غرفة النوم ورأت على طاولة، أدوات لزينة المرأة ولها اغطية من الفضة وقد علق على الباب من الداخل ثوب نسائي فضفاض. تورد وجه ميريل خجلاً، فهي لا تريد ان تعرف ابداً ان كان راي يشارك في حياته امرأة اخرى ام لا، فأسرعت تقفل الباب وتبتعد عن تلك الغرفة.

توجهت إلى غرفة نوم ثانية ففهمت انها تخص راي، ثم اخذت تنقل ناظريها في ارجاء الغرفة لتجد ان جواز السفر كان على طاولة صغيرة قرب النافذة، تناولته بسرعة ووضعته في حقيبة يدها.

اقفلت ميريل باب الغرفة وعادت إلى القاعة الفسيحة،

ورأت لوحة زيتية رائعة واخذت تحدق بها وقد هالها ان تعرف صاحبتها، ان اللوحة احدى واروع رسومات إليز. فاللوحة تظهر امرأة غجرية عمياء تلف حول عنقها وشاحاً أحمر اللون، وكانت تعزف على اوتار آلة الكمنجة بوجه شاعري حالم... فتذكرت ميريل انها رأت تلك اللوحة آخر مرة في محترف إليز الفني. تأثرت تأثراً كبيراً بينما الدموع اغرورقت في عينيها، عند ذلك اسرعت وخرجت من المنزل بسرعة والألم يعصر قلبها.

حاولت ميريل ان تهدىء نفسها من الانفعال والاضطراب وهي تقود سيارتها بسرعة، على اية حال، لِمَ هي على هذه الحالة؟ الم يسبق لها وعرفت ان راي كان على علاقة سابقة مع إليز؟ كما انه الآن على علاقة بامرأة اخرى وقد تاكد لها ذلك من رؤيتها للثوب الفضفاض، وادوات الزينة النسائية التي صفت بعناية على الطاولة في الغرفة. لكن، هذا ما يمكن توقعه وبالأخص لرجل يتمتع بسحر وجاذبية راي، اذاً، ما سبب هذا التوتر والانفعال اللذين يسيطران عليها؟

لكنها افاقت من غفلتها عندما وقعت نظراتها على إحدى وأهم أعمال إليز الفنية معلقة على الحائط في منزل راي، الذي عندما جاء على ذكرها في المرة السابقة، تبدل وغير من تصرفه كلياً، حتى انه لم يكلف نفسه ويذكر لميريل انه يملك إحدى لوحاتها.

مع وصول ميريل إلى لندن، كانت قد استعادت حيويتها وطبيعتها. ولما التقت براي، أعطته جواز السفر، وقد رأت انه ليس مهما ان تخبره بأنها اضطرت إلى تفتيش منزله غرفة غرفة لتجده.

أخذ راي يسجل في دفتر ملاحظاته ما كان في لقائه مع شارلتون ليلة البارحة، وقد كانت السفينة تمخر عباب اليم إلى زيبروج. بينما فتحت ميريل كتاباً لتقرأ إحدى القصص المشوقة. مع ذلك، لم تستطع متابعة القصة أو ان تركز على ما جاء فيها، ووجدت نفسها تعيد قراءة الصفحة مرة بعد الأخرى. وسبب ذلك، ان راي كان يجلس إلى جانبها بينما كان يسجل تلك الملاحظات. وقد كان بين وقت وآخر يتحرك متململا في مقعده أو يضع ساقاً فوق ساق.

سألها راي عندما انتهى مما كان يقوم به، وقد بدأ يظهر الشاطىء لهما من البعيد: «هل الكتاب الذي تقرأينه جيد؟»

تأكد لميريل انه لاحظ عدم تركيزها التام في ما تقرأ، فتمنت في نفسها ان لا يكون قد فهم السبب لذلك.

اظهرت حماساً وهي تقول: «آه، انه عظيم جداً. واتمنى لو اعود سريعاً لقراءته.»

«حسناً، لا تحصري اهتمامك به كثيراً، وتذكري اننا نقوم برحلة عمل.»

لحقت به إلى محطة القطار الذي سينقلهما إلى بروجز، بعد ان رست السفينة وخرجا منها. لقد بدا أكثر بهجة الآن وهو يكلمها بعد ان توقف عن تدوين ملاحظاته. حدثها عن زياراته الأولى لهذه المدينة وعن مدى اهميتها التاريخية في القرون الوسطى مما جعل ميريل تصغي إليه باهتمام شديد.

«أحبها كثيراً في فصل الشتاء فأجواؤها الحميمة تنقلك بعين الخيال إلى القرون الوسطى حيث كان التجار يبيعون منتوجاتهم الصوفية. لكن وفي هذا الوقت من السنة، تتفتح

ازهار النرجس في بيغيناج... يجب ان تذهبي إلى هناك كي تشاهديها.»

ابتسمت ميريل قائلة: «لقد قرأت عن ذلك وهذا ما انوي القيام به.»

سألها وقد نظر إليها بفضول: «هل تقومين بأبحاثك عادة في هذه الدقة؟»

«إذا توفر لي ذلك، هل هناك ما يمنع؟»

«لا أبداً، بل على العكس اقدر ذلك منك.»

اعتقدت ميريل انه سيضيف شيئاً آخر، انما توقف القطار في تلك الاثناء في بروجز. وبعد فترة من الوقت، كانت في غرفتها في الفندق تشكر حظها لأنها اصبحت بمفردها الآن، فهذا اليوم كان شاقاً ومرهقاً ومليئاً بعواطف غريبة لم تنته منها بعد. وكانت قد اتفقت مع راي قبل أن تدخل إلى غرفتها، على اللقاء به في مطعم الفندق لتناول مشروب منعش، كانت تأمل ان يكون مرتبطاً بعشاء عمل كي يتسنى لها أن تستسلم لخيالها بعد ذلك. كانت تعرف انه من السهل التعامل معه في المكتب حيث ان اجتماعهما الوحيد هو للعمل فقط، لكن وقفته السبت الماضي في الحديقة الخلفية لمنزلها يراقبها دون علم منها، وجلوسه معها اليوم في القطار، جعلاها تشعر به كرجل، وليس كرب عمل صارم. ولم تستطع ان تهرب من الحقيقة العارية بأنه رجل مثير وجذاب استطاع ان يؤثر عليها وان يشدها أكثر إلى عينيه الذهبيتين. لكن الأمر الذي لم تكن تريده، ألاّ تنجذب إلى رجل كان في ما مضى صديقاً لابنة خالتها إليز ـ حتى ولو كان على علاقة بامرأة أخرى.

فتحت حقيبتها بسرعة ثم استحمت وارتدت ثوباً من الصوف ذا ياقة مستديرة وبلون زهري. سرحت شعرها بعد ذلك إلى الوراء ليظهر عنقها الدقيق والطويل وكذلك القرطين الفضيين، ثم القت نظرة على نفسها في المرآة لتتأكد من كامل اناقتها. انتعلت حذاءها الأسود ذو الكعب العالي وهي تفكر ان الذي تحتاج إليه الآن، هو كل ما تملكه من اعتداد وثقة بنفسها، ثم ابتسمت لشكلها في المرآة بعزم وتصميم.

عندما هبطت سلالم الفندق، كان راي يسند قامته المديدة إلى حائط، ولما استدار بتكاسل، رآها ثم انتصب في وقفته. واخذا يتبادلان نظرات عميقة شعرت ميريل خلالها بدقات قلبها تتسارع دون ان ترحمها، فحاولت ان تهدىء من نفسها وتمشي نحوه بخفة وهي ترسم ابتسامة باردة.

سألها وقد حمل كأسين من العصير إلى طاولة صغيرة قرب المدخنة: «هل يتوجب علي ان امتدح جمالك المثير للاعجاب بكلمات مناسبة؟»

«مثل ماذا؟» ثم جرعت بعضاً من شرابها ونظرت إليه.

«آه، تعرفين ما أعني... فلا داعي للخجل، يا ميريل.» رأته يبتسم لها، بينما كان قبلاً لا يقوم بذلك الا نادراً. حولت نظراتها عنه لتنظر إلى الخارج من النافذة وقد مالت الشمس إلى المغيب، ثم أحست ان كل ما كانت تحذره منه تلاشى واختفى منها ليحل مكانه ترحيب. انها الآن في بلد غريب عنها وفي مدينة يعود تاريخها إلى القرون الوسطى برفقة رجل طويل جذاب وأنيق، فلما لا تتمتع بما هيأته لها الظروف، والذي لن يطول أكثر من تناول كأس من مشروب منعش؟ وما الضرر الذي قد يحدث من جراء ذلك؟

ضحكت بعد ذلك قائلة: «انني لست خجلة، انما من اين لي ان أعرف ما قد تكون الكلمات المناسبة التي تتحدث عنها؟»

«إذاً، سأطلعك عليها بإيجاز، انك تبدين فاتنة ودافئة ومملوءة بالأحاسيس، وبأشياء اخرى يعجز لساني عن وصفها لك.»

انذرته ضاحكة: «اثبت! فلا داعي لهذه المغالاة. بالمناسبة، اعتقدت ان هذه الرحلة، رحلة عمل لا أكثر.» ولمعت عيناها بمكر ودهاء.

«انها فعلاً كذلك، لكن الا تعتقدين ان رجلاً مثلي يحتاج إلى شيء من الراحة والترويح عن نفسه من وقت لآخر؟»

«هل تعتبر جلستنا هذه جلسة مريحة ومرفهة؟» قالت ذلك وهي تشعر بكل شيء عدا الراحة.

«نعم، انها كذلك بالنسبة إليّ. فكرت ان نتناول طعام العشاء بعد هذه الجلسة المريحة في احد مطاعم بروجز. عليك ان تحضري معطفك وتبدلي حذاءك، لأن شوارع هذه المدينة مرصفة بالحصى ولا تتناسب مع هذا الكعب العالي الذي تنتعلينه الآن.»

«هل اعتبر ان القصد من دعوتك، ان نقوم بنزهة سيراً على الأقدام؟ وهل تكون هذه فرصة مناسبة لك لتقوم برياضة المشي في الهواء الطلق؟»

ضحك ثم قال بمكر: «لا يمكنك التعرف على معالم بروجز، الا إذا سرت على قدميك، لكن هل تمانعين ذلك؟ أو ربما انك تفضلين متابعة احداث قصتك المشوقة؟ لأنني متأكد انك لم تتقدمي فيها كثيراً خلال رحلتنا على متن السفينة.»

فكرت ميريل بارتعاش في داخلها بأنه قد لاحظ عليها ذلك!

قال وهو يقف بسرعة: «لقد سمحت لنفسي ان احجز طاولة لنا دون أن أخبرك. هيا احضري معطفك وسنذهب في الحال.»

«إذاً، لقد استخفيت برأيي في هذا الموضوع.» قالت ذلك بنبرات تعمدت فيها البرودة لكنها لم تفلح. وشعرت بأن قدميها لم تقويا على حملها بينما انبأتها غريزتها انها مقبلة على مغادرة سارة.

وافق معها قائلاً: «اعلم انها كانت مجازفة مني، لكنني اعتقدت انها مجازفة تستأهل القيام بها. وعلى أية حال، كنت اعلم انك لست على ارتباط مسبق بأي شيء آخر.»

عند أول درجات السلم، التفتت ميريل لتنظر إليه بعينين مشرقتين وقد جرى الدم حاراً في داخلها. انه شعور لم تشعر به طيلة أيام حياتها، وإن لم تتطور الأمور بينهما، فعلى الأقل يمكنها الاستمتاع بلحظات هادئة معه كلما سمحت لها الظروف بذلك. فقالت له بعد ذلك: «انك رجل صلب وعنيد.»

حرك كتفيه دون مبالاة ثم علق قائلاً: «انني اعتبر نفسي رجلاً محباً للمغامرة ان صح التعبير. اما انت... فسوف نتكلم بشأنك آجلاً.»

اعتقدت ميريل بينما كانت تستبدل حذاءها بأنها تسرعت في قبول دعوته، انما لا يمكنها الآن ان تتراجع مع انها وفي قرارة نفسها ترفض ذلك رفضاً قاطعاً. هذه الليلة لها نكهة خاصة، وهي احدى المناسبات النادرة لتجمعهما مع بعض خارج نطاق العمل.

مشيا في شوارع المدينة التاريخية وراي يشرح لها كل شيء حول تلك الجسور القديمة التي تمتد من تحتها اقنية وعن تلك الابراج الهولندية المضيئة. كان يمسك بها من مرفقها فغمرها شعور بالألفة والمودة وتنبأت بليلة لا تنسى مع رجل لا يمكن تجاهله.

دخلا مطعماً يطل على احدى تلك الأقنية، فقال لها راي وقد جلسا مقابل بعضهما إلى طاولة حجزت لهما مسبقاً: «آمل ان تكوني جائعة، لأن لهذه الوجبة مذاقاً لا ينسى.»

اجابت ميريل بلطف: «لقد وجدت لغاية الآن بأنها ليلة لا يمكن نسيانها. فيا لها من مدينة رائعة وشاعرية، و...» ثم هزت بكتفيها ضاحكة لتتابع قولها: «اعتقد انه قد جاء دوري لأمدح جمال هذه المدينة بكلمات مناسبة.»

قال راي مفكراً: «حسناً، اعتقد ان هذه الليلة هي من احدى ليالي العمر التي لا تنسى. وهذا نادراً ما يحصل، الا إذا انضم لجمال وروعة هذه المدينة، جمال شبيه بجمالك. وآتي الآن على ذكر فستانك الانيق واللون الذي يليق بك تماماً.» ثم وضع مرفقيه على الطاولة واسند وجهه بين يديه محدقاً بها بجدية، بينما كلماته الأخيرة جعلت الدم يجري حاراً في داخل ميريل. لكنها تنكرت فجأة ذلك الثوب الفضفاض المعلق على باب غرفة النوم، كذلك تذكرت اللوحة الزيتية التي رسمتها إليز، فارتعشت فرائصها لذلك. وخلال وجبة الطعام تفوهت بكلام قليل ومقتضب لتخفي معاناتها النفسية، ولكن استمرت عينا راي الذهبيتان تحدقان بها، لتضعفاها وتشلا قواها.

بعد ذلك وبينما كانا يرشفان القهوة، استعادت ميريل

بعض قواها، وقالت له: «ذكرت لي مرة بأن لك شقيقاً من ناحية والدك وبأنه سيلتحق بشركة التصاميم الخشبية.»

«روب؟ نعم، هذا صحيح. كما انه يصغرني سناً.»

«هل يعيش معك؟» سألت ميريل وتنكرت بأنها لم تجد غرفة قد تدل على انها لروب، عندما دخلت منزله وفتشت غرفة بعد أخرى عن جواز سفره.

ضحك راي قائلاً: «لا. فأنا اعيش بمفردي في معظم الأوقات... عدا ان ستيلا تزورني من وقت لآخر.»

تسارعت دقات قلب ميريل، إذاً ستيلا هي صاحبة ذلك الثوب الفضفاض. وعادت صور دخولها إلى منزله تتضارب في رأسها... خاصة إليز. انه اليوم صديق لستيلا، فاحست بالخسارة وهي تنظر إليه، لكن لماذا تدع نفسها تنجرف بمشاعرها تلك ومن ثم إلى عذاب يمكن تجنبه؟

تابع راي كلامه قائلاً: «ان ستيلا هي زوجة ابي، فعندما توفيت والدتي، عاد والدي وتزوج مرة اخرى من ستيلا، وكانت اصغر سناً بكثير من والدتي ورزقا بروب، لذا بقيت ستيلا تعيش معي. لكنها في الوقت الحاضر تقوم برحلة بحرية.»

بحركة عفوية جرعت ميريل بعضاً من شرابها المنعش لتخفي ارتياحاً كاد ان يظهر على وجهها، ثم أخذت تحدق إلى الخارج حيث اغصان شجرة الصفصاف تدلت باسترخاء لتلامس اطرافها مياه النهر في الضفة المقابلة.

قال لها راي مبتسما بينما كان يحدق في التغيير المفاجيء على ملامح وجهها: «لقد بدت عليك السعادة فجأة، وكأنك عقدت سلاماً مع العالم.»

لقد اخطأ في استعمال كلمة سلام لوصف مشاعرها، فأسرعت تقول له: «حسناً، ومن لا يكون سعيداً، فأنا لم يخطر ببالي قط ان رحلات العمل قد تكون بهذا الشكل.»

ضحك ثم طلب فاتورة الحساب وقال لها بعد ذلك: «كما انني لم يخطر ببالي أيضاً بأنها قد تكون كذلك. لكنك غداً ستلمسين الناحية الثانية من هدف هذه الرحلة، وعليّ أن أحذرك منها، فسنبدأ باكراً في العمل وقد يتعبك الأمر كثيراً.»

قالت له بجرأة: «سأكون جاهزة لكل شيء.»

عاد يضحك من جديد قائلاً: «هذه هي فتاتي النشيطة.»

لا يفترض ان تلك الكلمات التي تفوه بها راي، أن تكون على جانب كبير من الأهمية، فكرت ميريل بينما كانا يمشيان في الظلمة عائدين إلى الفندق.

طلب راي مفتاحي الغرفتين من عامل الاستعلامات في الفندق، وعندما وصلا إلى غرفتها ساعدها بفتح بابها ثم دخل معها وأغلقه وراءه.

اخذا ينظران إلى بعضهما بصمت عميق، كانت عيناه تبتسمان لها بإشراق.

دخوله إلى غرفتها اربك ميريل فسألته: «هل تؤمن بالقصص الخرافية؟ وما رأيك بقصة سندريللا على وجه التحديد؟»

رفع حاجبيه متعجباً من سؤالها المفاجيء وقال: «عمَّ تتكلمين؟»

«آه، لا شك انك تعرف حوادث تلك القصة... فبعد الحفلة تعود سندريللا إلى المطبخ و...»

«انت تظنين نفسك سندريللا، وان الحفلة قد انتهت الآن؟ اهذا ما تريدين قوله؟»

اجبرت ميريل نفسها على الابتسام قائلة: «نعم، فانا لست سوى مساعدة لك في اعمالك، يا راي. كما اننا هنا في رحلة عمل فقط، ولولا ذلك لما جئنا إلى هذا المكان، كما انني فهمت منك بأن يوم غد سيكون يوماً متعباً.»

قال راي بثبات: «فهمت.»

«شكراً لك على تلك السهرة اللطيفة. في أية ساعة تريدني ان أكون جاهزة صباح الغد؟»

«لنقل في الساعة الثامنة والنصف ننطلق إلى عملنا.»

تنهدت ميريل بارتياح بعد ان خرج من غرفتها ثم جلست إلى طاولة الزينة تزيل عن وجهها المساحيق، وفكرت موبخة نفسها بالذي تشعر به حيال راي ترافس. لقد وافقت على العمل معه فقط من اجل ان تزيل الغموض عن موت إليز، وحتى الآن لم تتوصل إلى شيء بعد، لذا يجب ان لا تزيد الأمر تعقيداً وتقع في هواه لأنه رب عملها ولا شيء أكثر من ذلك، وعلى هذا النحو يجب ان تبقى الأمور.

استيقظت في اليوم التالي متأخرة عن موعدها معه بضع دقائق، فاعتقدت انه يضرب اخماساً بأسداس بينما ينتظرها في قاعة استقبال الفندق.

لكنها عندما نزلت إلى الطابق الأسفل ودخلت قاعة الطعام، دهشت لرؤيته وهو ما يزال يتناول فطور الصباح. ولدى رؤيته لها، قطب جبينه قائلاً: «كنت على وشك الخروج، على أية حال، انني لست في حاجة اليك هذا الصباح.»

«آه؟» ابهذا الشكل يحاسبها على تأخرها؟ ثم جلست ميريل وسكبت لنفسها بعضاً من عصير البرتقال.

«لقد اتصل بي احد اعضاء الاتحاد المالي يشترط ان تكون المساعدة تجيد الاختزال اللغوي بطريقة صحيحة.»

طأطأت ميريل برأسها قائلة: «فهمت.»

سألها بأدب: «هل نمت جيداً؟»

اجابت ميريل بينما كانت تتناول قطعة من الخبز: «حسناً، وانت؟»

أجاب ببرود وقد نهض من مكانه: «آه، طبعاً. يجب ان اذهب الآن. ماذا ستفعلين في غيابي؟»

«آه، لا تقلق علي. سأذهب للتفرج على بعض معالم هذه المدينة وأبحث عن متحف مايكل انجلو الذي اخبرتني عنه. على اية حال، فأنا استطيع تدبر كافة أموري.»

ابتسم بينما ضاقت عيناه بقسوة وهو يقول: «لا أشك بذلك ابداً.»

خرج راي من قاعة الطعام بينما كانت ميريل تسكب لنفسها فنجاناً من القهوة وقد شعرت بداخلها بالسأم والضجر.

الفصل الرابع

فكرت ميريل بينما كانت تدفع ثمن فنجان القهوة في أحد المقاهي، بروعة وجمال هذه المدينة. لقد توصلت إلى ان تبعد راي عن تفكيرها، وذلك بتركيزها التام على ما شهدته من متاحف ومعارض فنية وقد ساعدتها خريطة المدينة في ان تصل إليها دون تعب أومشقة.

بينما كانت تقف مندهشة باعجاب لتمثال حجري للفرسان الأربعة في حديقة هوف آرنت، سمعت صوتاً من ورائها يناديها: «ميريل ستانتون...! لقد صح ظني، لقد اعتقدت بأنني لمحت خيالك في متحف برانغوين، لكن...»

استدارت ميريل بسرعة، وقد تقوس حاجباها بدهشة وهي تقول: «انك... انك ريتشارد...» ثم اختفى صوتها.

ضحك قائلاً: «هيا، اعترفي، بأنك نسيتني. ولكن دعيني انعش ذاكرتك، انني ريتشارد ستيرلينغ، وقد التقينا منذ تسعة أشهر في كوخ إليز، هل بدأت تتذكرينني؟ وكنا نشوي اللحم في السهل أمام الكوخ.»

قالت ميريل متذكرة: «نعم، انني فعلاً اتذكرك، وأذكر أيضاً انك دعوتني سندريللا.»

ابتسم ريتشارد بمكر قائلاً: «هل دعوتك كذلك؟ حسناً، ما كان يجب ان ادعوك كذلك، لأنك أجمل بكثير منها. آه، لقد سمعت ما حدث لاليز، ولقد تأسفت لذلك... يا للخسارة! فنانة قديرة مثلها تختفي فجأة من الوجود.»

قالت تطاطىء برأسها: «نعم.» ولم تستطع أن تقول شيئاً أكثر من ذلك.

تابع ريتشارد حديثه معها قائلاً: «وما الذي تفعلينه في بروجز؟»

سرت ميريل من تغيير دفة الحديث ثم أجابت عن سؤاله قائلة: «انني في رحلة عمل مع رب عملي. لكنه منهمك بأمر خاص هذا الصباح، لذا وجدتها فرصة مناسبة للتجول في انحاء هذه المدينة العريقة. وماذا عنك، هل انت في اجازة؟»

«انني اقوم ببعض الابحاث من اجل نشر كتاب فني، وبما ان الفنان برانغوين والفنان ويليام موريس قد عملا معاً لفترة ما في الماضي، وعرضت رسوماتهما في متاحف هذه المدينة، اعتقدت انه من الأفضل ان اشاهد تلك الاعمال بنفسي قبل الشروع في كتابي. بالمناسبة، هل ستكونين حرة لتناول طعام الغداء معي؟ أم يتوجب عليك ان تعودي إلى رب عملك؟»

ضحكت ميريل قائلة: «لا اعلم بالضبط متى سينتهي من عمله، لكن اعتقد انه من المستحسن ان أعود إلى الفندق لأتأكد من عودته.»

تقدم قريباً منها قائلاً: «يا للتعاسة. حسناً، ما رأيك بتناول العشاء معاً؟ اعتقد بأنك ستكونين حرة في المساء.»

«نعم، اعتقد ذلك، في الواقع انا متأكدة من ذلك.» قالت مفكرة ان راي لن يمانع في ذلك.

قطع ريتشارد عليها حبل افكارها وقال: «عظيم.» ثم أمسك يدها بيده ومشى بها مبتعداً وهو يقول: «حسناً. أعطني اسم الفندق الذي تنزلين فيه، وسأتصل بك حوالى

الساعة السابعة، فإن لم يكن بامكانك تناول العشاء معي، فقد نستطيع تناول أي شراب منعش بدلاً من ذلك وفي أي مكان، وبعده نتفق على موعد جديد، فما رأيك؟»

«حسناً، سأنتظرك.» قالت ذلك ثم ابتعد ريتشارد عنها.

نظرت ميريل إلى ساعة يدها لتجد انها قد شارفت على الواحدة بعد الظهر، فراي لن يكون راضياً في ما لو عاد ولم يجدها، وعندما عادت إلى الفندق، اتجهت إلى قسم الاستعلامات فلاحظت ان مفتاح غرفته ما زال معلقاً في مكانه. لذا، جلبت سندويتشاً وفنجاناً من القهوة وأخذت تتناولهما على مهل تنتظر عودته في قاعة الاستقبال.

عندما دخل عليها، كانت تحدق خارج النافذة مفكرة، فتقدم منها بخطوات واثقة، ونظرت إليه بحذر بينما كان يضع حقيبة يده جانباً ثم قال وهو يمرر بأصابع يده على شعر رأسه: «حسناً؟ هل استمتعت بوقتك هذا الصباح؟»

أجابت بتكلف قائلة: «كان صباحاً رائعاً. وأنت؟ كيف كان اجتماعك؟» لقد قررت ان تتكلم بالعمل وان لا تتكلم عما كان لها من يوم جميل يعكس عليه أشعة الشمس الرائعة، ومن مشاهدتها لتلك اللوحات الزيتية التي لا تنتسى في متحف مملينغ، والحدائق الغناء التي تتمايل فيها أزهار البنفسج الصفراء، ثم ابعدت نفسها عن افكارها تلك لتسأله: «وماذا بخصوص العقد؟ هل تمكنت من ان...؟»

ابتسم ثم قال: «لقد كان صباحاً مثمراً، وقد تم مبدئياً الاتفاق في ما بيننا، ولم يبق سوى بعض التفاصيل البسيطة التي لن تقف حاجزاً في وجه مشروعي.»

ثم تابع بعد لحظة تفكير: «ولا داعي لأن أقول لك، ان مشروعاً

كهذا يعني الكثير للتاريخ المجيد لشركة التصاميم الخشبية... بالمناسبة، لقد قدرت ملاحظاتك التي سجلتها كل التقدير.»

نظرت ميريل إليه مبتسمة وهي تقول: «يسعدني انك استفدت من تلك الملاحظات.»

نظر إليها مطولاً فأشاحت ميريل بنظراتها عنه وقد شعرت ببعض الانفعال من جراء ذلك.

وقف فجأة وهو يقول: «سأطلب بعض الحساء، وعندما أنتهي، يجب ان نتباحث معاً ببعض التفاصيل للعمل عليها، انها تعديلات تخص بعض التصاميم. سأتصل بمايك، أرجو منك ان تحضري معك دفتر ملاحظاتك وكذلك الآلة الحاسبة، وسألتقي بك بعد نصف ساعة.»

انتهيا من العمل بعد الساعة السادسة، فشعرت ميريل بدوران في رأسها بينما بدت ملامح الرضى التام على وجه راي وهو يقول: «ماذا يمكنني ان افعل من دونك؟ واعتقد ان كلانا بحاجة الآن لشراب منعش، إبقي مكانك وسأتي به.»

قالت له ميريل عندما عاد وبيده كأسين من الشراب المنعش: «انك رجل أعمال قدير وتعالج كافة امورك بدقة وعزم، كما اعتقد بأنه ما من شيء يمكنه ان يقف في طريق عملك لأنك تستطيع تدميره بسهولة.»

اجابها بلطف: «آه، كم اتمنى لو ان ذلك صحيحاً! لأنني لست معصوماً عن الخطأ، ام انك لم تلاحظي ذلك؟ على اية حال، قد تكونين على صواب في ما قلتيه، فأنا فعلاً لا أسمح لأشياء تافهة ان تقف في طريق اهدافي.»

أجابت ميريل: «هناك شيء يمكن وصفك به، انك قاسي القلب.»

«أهذا ما كونته عني؟»

تساءلت ميريل إن كان وصفها له قد اساء إليه، لكن ملامح وجهه بدت هادئة وباردة. وهذا ما هدأ من مخاوفها بعض الشيء لأنها لا تريد ان تصفه بحقيقة ما تشعر به نحوه.

جرعت كوبها بسرعة ثم وقفت قائلة: «شكراً لدعوتك وارجو ان تعذرني الآن، لأنني سأستحم وأغير ملابسي.»

وقف هو الآخر باحترام بالغ، وناولها حقيبة يدها ودفتر ملاحظاتها ثم قال: «أفكر لو اننا نتناول طعام العشاء في هذا المكان. فشوارع المدينة توحي للمرء بأشياء عاطفية.»

تساءلت ميريل قائلة: «هل هو عشاء عمل؟ أعني، ايترتب عليّ ان...»

ابتسم ابتسامة واسعة ثم قال: «لا، لن تكوني بحاجة إلى دفتر ملاحظاتك. ألا تعتقدين باننا قمنا بما فيه الكفاية لهذا اليوم؟»

لم تجب ميريل، بل عضت على شفتها السفلى مطأطئة برأسها.

ثم أضاف باستياء: «هل تمانعين في ذلك؟ وعلى العموم لا تقلقي، فعندما ننتهي من تناول عشاءنا، ستعودين إلى قراءة كتابك المشوق.» ولما لم تجب، أضاف قائلاً: «اعتقد بأنك بحاجة لتناول طعام لهذه الليلة؟ فما الذي يمنع لزميلين في نفس العمل ان يتعشيا معاً.»

أجابت ميريل وهي تضع دفتر الملاحظات في حقيبة يدها: «آسفة، فأنا على موعد مسبق مع أحد الاشخاص.»

قال بعد لحظة صمت: «صحيح؟ حسناً، يبدو انني نسيت قدرتك على الاندماج في المجتمع بسرعة.»

أجابت بحدة: «ماذا تقصد؟»

بدت على ملامح وجهه الرقة واللطف حين أجاب: «ألم تخبريني في تلك الليلة التي اوصلتك فيها إلى منزلك بأن حياتك مليئة بالاحداث والمشاغل؟»

نظرت ميريل إلى أسفل، ما قاله كان صحيحاً. لقد أعطته فعلاً ذلك الانطباع عنها وذلك بتعمد منها، لأنها لا تريد أن تبدو وحيدة في نظره لتستدر عاطفته وشفقته عليها.

ثم تابع بعناد قائلاً: «لكن، لم اتوقع منك ان تتمكني من التعرف على أحدهم وبهذه السرعة وفي ساعات قليلة من هذا الصباح.»

«لا داعي لمثل هذا الكلام، إذا كان العمل لهذا اليوم قد انتهى.»

قال متشدقاً بكلامه: «كم انك صعبة الارضاء في بعض الاحيان، يا ميريل.»

استمرت بعناء تقول: «الذي كنت احاول دائماً قوله، ان أوقات فراغي هي ملك لي وحدي.»

عبر بحركة من يده انه لا يعارض أبداً لاوقات فراغها ولا بكيفية قضائها ثم قال: «لا يحق لي ابداً التدخل بأمورك وحريتك الشخصية، بالمناسبة، لا بد انه كان صباحاً مسلياً بالنسبة لك.»

كادت ميريل تشتعل غضباً وهي تقول: «لقد كان كذلك، لكن ولمعلوماتك الخاصة...»

رفع راي يده بطريقة متعجرفة ليوقفها عن الاسترسال بكلامها ثم قال: «وفري كلامك، لقد أوضحت لي مرة بأن لك حياتك هنا أيضاً... لذا ينبغي علي ان لا أقف في طريق علاقاتك خارج أرض الوطن و...»

«انني لا اتقبل كلاماً من هذا النوع منك.»

«معك حق، فأنت لست مضطرة لأن تقومي بأي شيء معي، عدا ان تزوديني بكل ما أحتاج إليه من عمل فعال للشركة.»

حدقت في وجهه للحظات قليلة وقد شعرت بغضب شديد يشتعل في داخلها، ثم قالت: «لا اسألك ان تذكرني بمهامي وواجباتي.»

أجاب وهو يتناول حقيبة يده: «آه، لقد لاحظت ذلك، لذا اتمنى لك ليلة سعيدة، لكن أرجو ان لا تتأخري كثيراً، لأننا سنترك بروجز في الصباح إلى غانت، وسيكون يوم عمل طويل وشاق.»

دار حول نفسه ومشى مبتعداً عنها، فتحسست ميريل وجنتيها اللتين كانتا تشتعلان غضباً من تصرفه الذي لا يحتمل معها. مع انها رفضت دعوته إلى العشاء، لكنه بدا وكأنه هو المنتصر الذي لم يخسر المعركة. فمن المؤكد انه يعتقد بأنها اختارت رفيقاً، وقد كان واضحاً من نبرة صوته بأنه يتهمها بأنها رخيصة وسطحية. ليعتقد ما طاب له الاعتقاد، فكرت ميريل غير مبالية وحصرت تفكيرها بريتشارد الذي تأمل من رفقته ان ينسيها كلام راي القاسي معها.

ألم بميريل صداع رهيب بينما كانت تسهر برفقة ريتشارد، ولكنها اضطرت لأن تصغي لاحاديثه باهتمام بالغ، ولقد اعتبرته رفيقاً حلو المعشر رقيق الشعور غير متطلب، ولولا ما كانت تعانيه من ذلك الصداع، لاعتبرت هذه السهرة سارة ومرضية. لم يكن على معرفة عميقة بابنة خالتها إليز، لكنه عندما لاحظ ان ميريل لا ترغب في التحدث عنها، اخذ يكلمها عن عمله وعن رحلاته الأخيرة.

بعد مضي بعض الوقت كانا يتمنيان لبعضهما ليلة هادئة امام الفندق الذي تنزل فيه ميريل، ووعدها ان يلتقي بها في فرصة أخرى، وقال لها مبتسماً: «سأسافر قريباً، انما عندما أعود إلى الوطن سأبحث عنك. واشكرك يا ميريل من صميم قلبي على هذه السهرة اللطيفة.»

مال برأسه إليها ثم طبع قبلة على خدها، ومشى مبتعداً عنها.

صعدت ميريل رأساً إلى غرفتها، وهي تشعر بارتياح لأنها أصبحت بمفردها أخيراً. وبينما كانت تنزع عنها ملابسها، تهيأ لها انها سمعت باب غرفة راي يفتح ثم يغلق مرة أخرى، فتساءلت كيف أمضى ليلته هذه لكنها سرعان ما توقفت عن تساؤلاتها، فهمها الوحيد الآن ان تستسلم لسلطان النوم كي تبعد عنها ذلك الصداع، ومن ثم تنهض صباحاً على أحسن حال، من أجل يوم العمل الشاق والطويل الذي سبق واخبرها عنه راي.

كان هناك عدة اجتماعات في غانت، لكن الاجتماع الأخير استمر حتى المساء، وقد امتلأ دفتر ملاحظات ميريل بسرعة مما أنبأها ذلك بعدة أيام مرهقة من العمل المتواصل عندما تعود إلى مكتبها في الشركة لكنها لم تبال بهذا كثيراً، وأهم شيء كان بالنسبة لها ان تعود إلى أرض الوطن وإلى منزلها بالتحديد.

انتهى الاجتماع أخيراً فوضعت ميريل دفتر ملاحظاتها في حقيبة يدها ثم انتظرت بهدوء لينتهي راي من وداع من كان مجتمعاً بهم. تمنت لو انه لا يقترح عليها أن يمضيا السهرة معا، لكنها تذكرت انها رفضت دعوته في المرة

السابقة، من المؤكد أنه لن يعاود الكرة معها. لذا فإن حماماً ساخناً وعشاءً خفيفاً في غرفتها، قد يكون أفضل ما يمكن ان تقوم به، وغداً إذا سمحت الظروف ستكون في أرض وطنها العزيز. وأحست فوراً براحة نفسية بالغة.

عندما خرج راي قال لها: «لقد دعينا لتناول طعام العشاء، وفي مثل هذه الظروف لا يسعني سوى قبول هذه الدعوة.»

قالت ميريل عند ذلك بسعادة: «عظيم، احتفظ بالسيارة المؤجرة بينما استقل القطار لأعود إلى بروجز. ولقد جربته مرة ولا يمكن ان اضيع في طريق العودة.»

«قديرة كعادتك، لكنك لم تفهميني جيداً. قلت اننا مدعوان معاً. اسمعي، سام هولد زورث رجل ذو شأن عظيم ويهمني أمره، كما انه وزوجته يقيمان هنا في غانت، وقد دعانا معاً ووافقت.»

همست ميريل بغضب: «لا يحق لك ان تتكلم عني، أو ان تستخف برأيي.»

قال راي بنبرة ساخرة والغضب يشتعل في عينيه: «آسف ان كنت قد غيرت من مشاريعك لهذه الليلة، لكن هذا عشاء عمل، كما انني كنت قد اشرت خلال المقابلة من ان العمل معي قد يتعدى احياناً الساعات المقررة.»

تنهدت ميريل قائلة: «آه، حسناً. وهل لي خيار آخر؟»

أجاب راي بهدوء: «لا، ليس لك. هل تعتقدين أن في امكاننا وضع خلافاتنا جانباً لهذه الليلة فقط؟ آه، هذا سام آتٍ إلى ناحيتنا... وأطلب منك شيئاً آخر، هل يمكنك ان تخفي ما يبدو من استياء على ملامح وجهك؟»

لم تستطع ميريل الاجابة أو التعليق على ما قاله راي، ذلك لأن سام أصبح قريباً جداً منهما، وأمسك بيد كل منهما وخرجوا جميعاً من المبنى ثم قال مبتسماً: «اتبعا سيارتي، فمنزلي يقع على مسافة عشر دقائق من هنا.»

بقي راي صامتاً طوال الوقت إلى ان أوقف سيارته أمام بيت حجري رائع، فأطفأ المحرك ثم قال بنبرة ساخرة: «يجب ان تستعدي يا ميريل، فهذه السهرة لا يمكن مقارنتها بما كنت عليه من البهجة والسرور في الليلة الماضية، لكن وبما انها آخر ليلة لنا في بروجز، فأنصحك ان تتصرفي كعادتك بانتباه ودقة لما قد يدور من احاديث عمل.»

نظرت ميريل إليه نظرة احتقار وازدراء، فهو يعتقد بأنها على موعد مع ريتشارد هذه الليلة أيضاً، كما انه يعتقد أيضاً بأن ريتشارد بلجيكي. لكن لماذا تكلف نفسها وتخبره بالحقيقة؟ فهذا ما سيجعله يعتقد انها يهمها رأيه ويعتبر ذلك اطراءاً له. ثم لماذا تشغل بالها بالذي يعتقده أو يفكر به؟ فعندما تنتهي هذه الرحلة ستخبره السبب الحقيقي لقبولها لتلك الوظيفة في شركة التصاميم الخشبية، ومن ثم تقول له وداعاً. وكم سيفاجئه الأمر عندما يعرف انها لم تكن تقصد من وراء تلك المقابلة التي جرت بينهما، في ان تعمل في شركته، وسيدرك انه اخطأ مرة أخرى في الحكم عليها.

تقدم سام وزوجته آنا ليقطعا عليها حبل افكارها.

صعدت ميريل إلى الطابق الأعلى مع آنا لتصلح من شأنها وعندما نظرت إلى نفسها في المرآة، هالها ما رأت على وجهها من تعب وارهاق فقالت: «لقد كان يوماً طويلاً وهذا يظهر بوضوح على وجهي.»

ابتسمت آنا قائلة: «هل يرهقك راي بالعمل؟ فأنا اعرفه جيداً، انه شعلة من نار. اسمعي، لِمَ لا تأخذين حماماً سريعاً فالعشاء لن يكون جاهزاً قبل ساعة؟ لا اعتقد انك ستمانعين في ذلك، سأتركك لتكوني على راحتك.»

عندما انتهت ميريل من حمامها، نزلت إلى الطابق الأسفل لتجد الثلاثة جالسين قرب المدفأة. اتضح لميريل ان لسام وراي ارتباطات مشتركة، فكان يتحدثان بمرونة واستطاعت آنا بمهارة ان تشرك ميريل في الحديث. ثم نمت ألفة حارة بين المرأتين.

بينما كان الجميع يتناولون العشاء، اظهر راي الناحية الأخرى من شخصيته، فقد كان يضحك كثيراً، وهو يروي القصص المرحة عن خبراته في هذه الحياة، تابعت ميريل قصصه باعجاب وتحفظ.

قالت آنا لميريل بعد ذلك بينما كانتا في المطبخ: «انه رجل رائع للعمل معه، كما انه ديناميكي ومتطلب على ما اعتقد.»

وافقت ميريل قائلة: «هذا ما يمكن قوله فعلاً.»

ثم تابعت آنا حديثها مع ميريل قائلة: «إذاً، انت تعيشين قرب غابة شروود، انا لا اعرف تلك المنطقة من بريطانيا. فهل تلك المنطقة كما يصورها عقلي، مليئة بأشجار السنديان، وشبح روبن هود ورجاله ما يزالون يخيمون عليها.»

ضحكت ميريل قائلة: «ولا تنسي ماید ماریام، صحيح انه يوجد العديد من الاشجار بما فيها تلك الشجرة الكبيرة والعريقة... كما انه من الممكن ان تبدو للمرء بأنها مسكونة بالاشباح، خصوصاً في ايام تشرين الثاني حيث يصبح الطقس ضبابياً، لكنني في الواقع لم اصادف شبحاً واحداً. انني املك

كوخاً في احدى غابات القرية، لكنني اجرته الآن. اسمعي آنا، ابلغيني عندما تنوين الذهاب إلى بريطانيا، فإذا كنت من الذين يحبون السير على الاقدام فسوف تعشقين تلك الغابات.»

امسكت آنا يد ميريل ومشتا لتنضما إلى الرجلين وهي تقول لها: «يسعدني جداً ذلك يا ميريل، ويؤسفني أنك ستسافرين غداً، فقد كان في امكان زوجي وأنا ان نوافيكما ليلة غد إلى بروجز لنتناول طعام العشاء في دوك دو يورغون.»

توجهت ميريل إلى مقعد وجلست عليه، وجدت نفسها بعد ذلك مجبرة على الابتسام لراي الذي وضع وسادة خلف ظهرها، فلاحظت من عمله هذا، انه يحاول ان يبدي اهتماماً بالمجهود الذي بذلته معه كمساعدة شخصية له.

ضحك سام عندما انتهى راي من عمله وقال: «اود لو تطلعني على السر الذي من ورائه تستطيع ان تختار السكرتيرة المناسبة، فأنا لا استقر على واحدة.» ثم التفت إلى ميريل التي علت وجهها حمرة الخجل وتابع يقول: «هل لديك صديقة ترغب بالعمل في غانت؟»

ابتسمت ميريل قائلة: «آسفة جداً، فأنا لا أعرف أية واحدة ممن يرغبن في العمل خارج الوطن.»

ابتسم راي قائلاً: «اعتقد انني ادين بالكثير لرب عمل ميريل السابق. فقد كان بعهدتها عمل مهم في لندن قبل ان تأتي إلي.»

اجابت ميريل بصدق: «لا، لم اكن في الحقيقة كذلك. فقد كان رب عملي السابق مصاب بوهم المرض، وأهم قطعة اثاث في مكتبه، كانت تلك الخزانة الحديدية التي في داخلها ادوية مختلفة، وكان من واجباتي ان ارمي بتلك الأدوية كل

ثلاثة اشهر كي يعود إلى شراء أصناف أخرى، لكنه اكتشف بعد ذلك دواء واحداً عجيباً وضع به حداً لمشاكله... والآن، إذا احس راي بأنه سيصاب بوهم في المرض...»

تمتم راي قائلاً: «نعم؟ ماذا تحاولين قوله؟»

اجابت ميريل بسرعة: «انك وبكل بساطة ترفضه وتطرده سريعاً من رأسك.»

ابتسم راي ابتسامة واسعة وقال: «تباً، لم افكر بأنني يجب ان اكون مصاباً بوهم في المرض كي تكشفي لي عن عواطفك تجاهي.»

ضحك الجميع، بينما لمست ميريل السخرية في كلماته، انها سخرية ولدت من الفكرة التي كونها عنها.

ثم تابع بسرور قائلاً: «فأنا لم اتوقع منك ابداً ان تفكري أو تهتمي حتى بردات فعلي أو بمرض قد اصاب به أو بأي شيء آخر.»

بطريقة ما، جعل ميريل تشعر كمن يحشر شخصاً في الزاوية، وادركت انه لولا وجود سام وآنا لما تكلم بتلك الطريقة السارة، فهي وحدها تعرف ان في كلامه حقد وضغينة تجاهها.

اجبرت نفسها على الضحك ثم قالت: «انه من واجبي طبعاً ان افكر بك، فالمساعدة القديرة تدرس رب عملها بدقة، وقد يضطرها الأمر أحياناً ان تقرأ كتباً في علم النفس لترشدها عما يريده منها قبل ان يفكر هو نفسه بالأمر.»

سألها سام: «اصحيح ما تقولينه؟ إذاً، لقد اخطأت في طلب المواصفات التي اريدها من السكرتيرة.»

داعبته آنا بلطف: «اسألك اية نوعية كنت تبحث عنها

عندما وظفت السكرتيرة الأخيرة. ومن المؤكد انها لم تدرك ما كان ينتظر منها ان تقوم به.»

قال سام بصدق: «آه، حسناً. لكنني استطيع ان اتجنب سحر كل من تحاول التفكير بي.»

ضحك الجميع ثم نهض راي معتذراً وهو يقول: «في الحقيقة ينبغي علينا ان نغادر حالاً، فالطائرة ستقلع في الصباح الباكر.» ثم مد يده إلى ميريل ليساعدها على النهوض وتابع يقول: «لا ادري كيف اشكركما على ضيافتكما الكريمة. وارغب جداً ان ارد هذا الجميل لكما، إذا اتيحت لي الفرصة. بالمناسبة، أنت تسافر كثيراً إلى بريطانيا، فما رأيك لو اصطحبت آنا معك في المرة القادمة وتقومان بزيارتنا في ميدلاندز؟»

تحمست آنا قائلة: «نعم، نرغب فعلاً بذلك، وسوف تريني ميريل غابة شيروود.»

أسرعت ميريل قائلة: «حسناً، جزءاً منها على الأقل.» ثم تناولت حقيبة يدها وساعدها راي لتعلقها بكتفها وهو يبتسم لها بمكر.

بينما كان راي يقود سيارته متوجهاً إلى بروجز قال لها: «لم يكن ذلك بالأمر الصعب، اليس كذلك؟ على اية حال شكراً لمجيئك، وآسف ان كنت قد أفسدت عليك موعدك المسبق.»

اجابت ميريل وقد رأت انه ما من موجب كي تقول له انها لم تكن مرتبطة بأي موعد: «آه، لقد استمتعت جداً بوقتي. انهما شخصان لطيفان.» ثم اخذت تحدق من النافذة في اضواء منازل الريف المترامية أمامها، وبالنجوم التي اخذت تتلألأ في الظلام.

قال لها عندما اوقف سيارته امام الفندق: «يبدو ان هذه السهرة قد انعشتك، تبدين مرتاحة.»

«آه، وماذا فعلت هذه السهرة بك؟»

اجابها بغموض: «أكثر مما تظنينه.»

تجاهلت ميريل قوله وفتحت حقيبة يدها بيد مرتجفة ثم قالت: «اعتقد... اعتقد انني اضعت قلم الحبر.»

«اللعنة على ذاك القلم. اريد ان اطرح عليك سؤالاً، هل تعتبرينني شخصاً مميزاً.»

«آه، نعم. انك رب عمل مميز، لكن اسمح لي ان اقول لك ان ذلك لا يعطيك الحق لتتدخل في حياتي الخاصة.»

«حسناً، وكما قلت لي امس انني رجل قاسي القلب.»

«نعم يمكنني ان اكرر ذلك القول.»

قال فجأة وهو ينهي الحديث بينهما: «حسناً، من الأفضل لك ان تدخلي اذاً.» خرجت ميريل من السيارة ثم شعرت بعد ذلك بأصابع يده تضغط على مرفقها كانه يريد معاقبتها، وادركت انه ليس بالرجل الذي يستسلم بسهولة لتصدي المرأة له، لكن من الأفضل له ان يعتاد على هذه الطريقة لأنها هي ايضاً ليست بالمرأة السهلة بين اللواتي يعرفهن.

الفصل الخامس

بينما كانت سيارة الأجرة تبتعد عن الفندق في صباح اليوم التالي، قال راي: «من الأفضل ان ننسى ما كان بيننا من حديث ليلة البارحة.»

نظرت ميريل إليه بطرف عينها، ووجدته بكامل أناقته وعطره ملأ رئتيها، كذلك بدا كله حيوية ونشاط، على عكسها تماماً، لأنها كانت قلقة وتشعر بكآبة. فابتسمت له متمتمة: «تتكلم عن ليلة البارحة؟ في الحقيقة لا أذكر الكثير عما حصل، فقد كنت في غاية التعب والارهاق.»

طأطأ راي برأسه مؤيداً، وفي طريق عودتهما إلى أرض الوطن، أمضى أكثر الوقت يطالع الجريدة.

شكرت ميريل حظها على ان رحلة العمل هذه انتهت وعادت أخيراً إلى منزلها، كادت هذه الرحلة ان تحرك شيئاً من عواطفها تجاه راي. والآن عليها ان تعيد بناء تلك الحواجز في ما بينهما ولا تنسى مهمتها الاساسية.

بينما كانت تتناول فنجاناً من القهوة في المطبخ، فكرت بأنها لم تحسن التصرف معه في تلك الرحلة، فلو انها كانت أكثر حكمة وتجاوباً، لكانت توصلت إلى ما تريد معرفته منه. وما زالت الأمور غامضة حول صداقته بإليز. ثم تذكرت بألم ما الذي يعتقده فيها، ومن الفكرة التي كونها عنها.

من المؤكد ان بروجز اتاحت لها فرصة للتعرف على راي أكثر، ففهمت ميريل لماذا احبته إليز. لأنه من صنف الرجال

الذين يفقدون صواب كل فتاة، كما يجعلها تظن ان الحياة لا تساوي شيئاً دونه.

اغرورقت دموع ساخنة في عينيها فمنعتها من التساقط بعناد، لكن الغريب في الأمر ان عواطفها كانت تتجه نحوه بالرغم من حقدها عليه. فتذكرت ضحكاته التي شنفت اذنيها، تذكرت عندما مد يده إليها ليساعدها على النهوض من المقعد في منزل سام، معتبرة ان هذه الحركات أحلام ستلازمها في نومها ويقظتها.

توصلت مع قدوم يوم الاثنين إلى ان تبعد ذكرى تلك الاحلام نهائياً من رأسها. كانت لا تشعر بأية رغبة بأن تبدأ يوم عمل جديد معه، مع انها كانت في ما مضى تشعر ان راي أضاف طعماً لأيامها. دفعت باب شركة التصاميم الخشبية وهي تدرك حقيقة واحدة، انها لم تفكر مرة واحدة بماكس.

وجدت عندما دخلت غرفة مكتبها في الشركة ان الباب الذي يفصلها عن غرفة راي كان مقفلاً، مما جعلها تعتقد انه ربما ليس بحاجة إليها في هذا اليوم وهذا سيتيح لها الفرصة لتنظم الملاحظات التي دونتها في بروجز.

ازاحت الغطاء عن الآلة الكاتبة وفتحت دفتر الملاحظات ثم بدأت بطبع التقرير عن الاجتماع الذي تم في غانت. قفزت فجأة من مكانها وضغطت خطأ على أحد مفاتيح الآلة الكاتبة عندما رن الجرس في غرفتها، لم يكن من عادة راي أن يرن لها الجرس عندما يكون في حاجة إليها بل كان يناديها باسمها. لكن يبدو انه يريد التعامل معها بصورة رسمية الآن، وهذا ما تريده وترغبه.

دخلت ميريل إلى مكتبه فتسارعت دقات قلبها عندما وقع

نظرها عليه. كان أنيقاً كعادته، لكنه بدا شديد الحساسية منزعجاً، مما أكد لها عدم اهتمامه وتحفظه تجاهها.

تمتمت بتحية الصباح وهي تجلس على المقعد، ثم فتحت دفتر الملاحظات موجهة قلم الحبر على الصفحة البيضاء تنتظر ملاحظاته.

قال راي بهدوء ومن دون أية مقدمات: «انك لم تخبريني بموت ابنة خالتك.»

رفعت ميريل رأسها وقد فاجأها بقوله هذا، فسقط الدفتر من بين يديها واحست بالدم يغلي في عروقها. ثم قالت بارتباك: «الم افعل ذلك؟» ومدت يدها المرتجفة لتتناول الدفتر الذي سقط منها.

قال ببرودة: «لا، لم تفعلي ذلك، هل هناك من سبب وجيه؟»

أرادت ان تصرخ، نعم هناك سبب وجيه. وكنت انتظر اللحظة المناسبة لأعرف ما مدى الصداقة التي تربطك باليز وعندها يمكنني ان اكشف الغموض حول سبب وفاتها، لكن تلك اللحظة لم تأت.

كان يراقبها بدقة وعيناه تومضان بحدة مما أكدتا ظنون ميريل، فعاد يقول لها: «ربما، عليّ ان أكرر السؤال، هل هناك سبب وجيه كي تخفي عني موت إليز؟»

تنهدت ميريل تقول مراوغة: «يبدو انني لست صافية الذهن هذا الصباح. كما يبدو انك تريد التلميح بشيء. لِمَ الآن؟ اعني، لماذا تنبهت فجأة للتحدث عن إليز؟»

وقف راي ثم توجه نحو النافذة وأخذ ينظر منها إلى الخارج مديراً لها ظهره

أجاب أخيراً بهدوء: «تطرقت إلى هذا الحديث الآن لأن مايك ذهب لزيارتها وذلك عندما كنا معاً في بروجز، ولكنه طبعاً لم يجدها، بل وجد رجلاً آخر استأجر الكوخ ويسكن فيه الآن.»

قالت ميريل ببرود: «هذا صحيح، فقد أصبح الكوخ ملكاً لي الآن، وبما انه يبعد كثيراً عن مكان عملي، فضلت ان اؤجره للبروفسور وندل. لكن... لكن لماذا ذهب مايك لرؤية إليز؟»

عاد راي إلى طاولة مكتبه، وسحب ورقة وأخذ يتلهى بها بأصابعه ثم قال: «تذكرين انك دفعت ما تبقى من ثمن خزانة إليز، فعندما اوصلت تلك الخزانة بمساعدة روب في إحدى الليالي... بدت لنا جميلة ومتقنة بين التحف التي تجمعها إليز، فطلبت منها لو تسمح لي بأن التقط صورة لتلك الخزانة ومع ما يحيط بها من أشياء لاجل الدعاية، ووافقت إليز، لكننا لم نحدد موعداً لذلك.»

فكرت ميريل ، وأعرف السبب لذلك، لأنك اردت ان تتعرف عليها أكثر فاعتقدت بأن تأجيل الموعد قد يجديك نفعاً.

لقد كانت ميريل تشعر بتوتر شديد في داخلها منذ اللحظة التي بدأ راي فيها بالحديث عن إليز، فحاولت ان تسيطر على اعصابها قبل ان تطرح عليه سؤالاً يهمها معرفة جوابه: «ما مدى معرفتك بإليز؟»

«لقد التقيت بها ثلاث مرات فقط، لذا فأنا لا أعرفها حق المعرفة، لقائي الأول بها كان عندما طلبت ان أصمم لها تلك القطعة، واللقاء الثاني عندما ذهبت إلى الكوخ الذي تسكن فيه من أجل ان أقوم ببعض القياسات.»

«القياسات؟ وهل هذا ضروري؟»

رفع راي حاجبيه مندهشاً كيف ان ميريل تتساءل عن تخطيطه في العمل ثم قال: «نعم، وفي هذه الحالة فقط. فأنت تعرفين ان جدران الكوخ غير مستقيمة تماماً، لذا وحتى يصبح العمل متكاملاً، وجدت انه من الضروري ان اكشف على المكان بنفسي.»

ابعدت ميريل نظراتها عنه مخافة ان يرى اتهاماتها ضده في عينيها، فكرت بأن تلك كانت بداية معرفته بإليز.

«كما قلت لك، اوصلت الخزانة مع روب، لكننا لم نحدد موعداً لاجل التقاط الصورة. فبينما كنا في بروجن، حاول مايك الاتصال بها مراراً لينهي تلك المسألة. لكنه لم يحصل مرة على جواب. وكان يعتقد في كل مرة ان إليز خارج الكوخ. لكن عندما كان في طريقه إلى يوركشاير مساء الخميس الماضي، قرر ان يمر عليها ليتفق معها.»

عندها قالت ميريل بحزم: «لكنني اخشى من انك لن تتمكن من التقاط أية صورة الآن. فلقد اصبحت الخزانة في شقتي وكل الأشياء القيمة والنادرة التي كانت تحيط بها قد وضبت بعناية في داخلها، لأنه كان عليّ ان أرتب أمور إليز بعد وفاتها.»

تغيرت ملامح وجه راي فجأة وقال لها بلطف: «يبدو انك كنت تحبينها كثيراً.»

طأطأت ميريل برأسها وقد تعجبت من نبرته الهادئة واللطيفة، ثم قالت: «لقد كانت إليز قريبتي الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة، فعندما توفيت شعرت بوحدة قاتلة، لأنها كانت عزيزة جداً عليّ.»

قطب راي جبينه وتوجه إلى آلة القهوة يسكب فنجانين،

ثم وضع واحداً أمام ميريل قائلاً: «انني آسف جداً، كما انني لا أريد ان اذكرك بما كان. لكن الذي لا أفهمه هو سريتك التامة للموضوع، وقد كان في امكانك ان تذكري خبر وفاتها عندما قمت بدفع ما تبقى من ثمن تلك القطعة.»

همست باختصار: «لم... لم استطع.» ثم خيم صمت رهيب عليهما، كانت ميريل خلاله ترغب لو انه يغير الموضوع الذي آلمها في وفاة إليز. لكن الدافع لوجودها في هذا المكان هو لأجل هدف واحد، وبما ان راي منحها الفرصة لكشف ذلك الغموض، فتابعت تقول: «انك تلقي أهمية على ذلك الأمر ولا ادرك لماذا.... خصوصاً وكما ذكرت بأنك لا تعرف إليز تمام المعرفة.»

اجاب راي متعمداً: «اعتقد انك أنت التي اعتبرت الأمر مهماً بكتمانك التام للموضوع.»

حدقت بحافة فنجان القهوة وقالت بنبرة خلت من أي تعبير: «لقد صدمت عندما عرفت بوفاة إليز وغمرني حزن شديد عليها، لذا لم استطع التحدث عنها بسهولة... لقد كانت في ربيع عمرها تمتلىء نشاطاً وحيوية و... والذي از عجني أكثر، وفاتها بحادث سيارة، والذي لم يكن يتوقع منها لمهارتها في قيادة السيارات.»

قال راي مطأطىء الرأس: «أخبرني هذا أيضاً.»

تابعت ميريل بحذر: «اعتقد ان موتها قد نشر في الصحف المحلية و...»

«من المؤكد ذلك، لكنني كنت ومايك خارج البلاد في ذلك الوقت، كذلك روب. لذا، فلو قرأ بقية الموظفين انها توفيت، لن يكترثوا كثيراً لهذا الخبر وبالتالي لن يبلغوني.»

قالت ميريل معتقدة انه من خلال هذا السؤال ستكشف عن بعض الغموض: «هل أنت تكترث بأمرها؟»

«تباً لك ما الذي تريدين قوله؟ انها مجرد زبونة مثل كل الزبائن.» ثم وقف فجأة ودفع بكرسيه إلى الخلف ليصطدم بالجدار بعنف وتابع قائلاً: «إلى ماذا تهدفين، ففي البداية اخفيت عني خبر وفاتها وقلت ذلك من هول الصدمة التي تلقيتها... وأنا اتعاطف معك من أجل ذلك... لكن إلى ماذا تلمحين الآن؟ ما الذي تعرفينه، أو ما الذي تعتقدين بأنك تعرفينه؟»

وقفت ميريل بسرعة وقد احست بضيق في انفاسها، انه لم يأت على ذكر تلك اللوحة التي يعلقها في منزله والتي هي بريشة إليز، فهو من المؤكد لا يريد ان يتكلم بصدق معها، لذا قالت له: «ربما يجب ان اتركك لتجيب بنفسك عن هذا السؤال، اعذرني الآن، فيجب ان اعود إلى عملي المتوجب عليّ.»

كان راي يراقبها متأملاً، فقال بعد ذلك: «حسناً، وربما لو انك تركزين أكثر على عملك، فلن يتيح لك المجال عند ذلك لتفكري بي وبأموري...»

قالت ميريل بصوت تخنقه العبارات: «انها مجرد زبونة كأي زبون آخر؟»

أجاب بحنق: «تماماً، كما انني لا أريد منك...» توقف فجأة عن مكالمتها عندما فتح الباب فجأة وأطل منه روب، فهتف راي: «روب! لم أعرف انك عدت من رحلتك.»

أجاب روب وهو مايزال واقفاً عند الباب ينقل نظراته بين راي وميريل ثم قال: «عدت ليلة البارحة لأنه لم يبق معي قرشاً واحداً. والآن أريد ان اثبت وجودي في الشركة.» ثم

حول نظره إلى ميريل ليتابع مبتسماً: «ومن تكون هذه الحسناء؟» وأخذ ينظر إليها باعجاب بينما كانت ابتسامته تبعث الاطمئنان إلى النفس.

أجاب راي بنبرة جافة اراد بها ان يخفي سخطه منها: «انها ميريل ستانتون. كما تعرف يا روب، كانت اليسون تريد ان تترك العمل، وميريل هي مساعدتي الجديدة. ميريل، اقدم لك روب أخي من جانب أبي، وعليك ان تعتادي على وجوده بيننا، لأنه سيعمل معنا من الآن وصاعداً.»

قال روب ممازحاً: «انها شركة ذات طابع عائلي، كما انها يمكنك تسميتها بامبراطورية التصاميم الخشبية، فكم كان افتخار والدي واعتزازه عظيمين لو كان لا يزال على قيد الحياة.»

ابتسم راي ثم نظر باتجاه ميريل قائلاً: «هذا كل شيء في الوقت الحاضر، وأطلب عدم ازعاجي بأية اتصالات لمدة نصف ساعة.»

عاد روب يقول ممازحاً: «يبدو انه أمر خطير جداً.»

عندما اقفلت ميريل الباب الذي بين الغرفتين، سمعت راي يقول: «وكيف حال هيزر؟ أرجو ان تكون قد سويت تلك الخلافات بينكما.»

جلست ميريل على مقعدها باعياء بعد تلك المشادة الكلامية بينها وبين راي والتي ارهقتها. ثم استسلمت لأفكارها، وقد تأكد لها انه لا يريد ان يكشف سر علاقته مع إليز. لقد قال انه قابلها لثلاث مرات ولأسباب عملية. لكن منكرات إليز تقول اشياء مختلفة، كذلك انباتها اللوحة التي يعلقها راي في منزله، وذلك يدل على أنه يخفي شيئاً.

عادت تنهمك بعملها لأنها تريد ان تقوم به على أكمل وجه إلى ان يأتي اليوم الذي تترك فيه الشركة نهائياً. لكنها ادركت انه لن يتكلم والسبب الأساسي لوجودها هنا لم يعد له نفع الآن ولن يمكنها الاستمرار أكثر في مخادعته. فقررت ان تقدم له استقالتها في آخر الشهر وعندها سوف تلوح أمام وجهه بمذكرات إليز، وسوف تنتقم منه لكن ليس أكثر مما يستحق، عندها فقط ستهدأ نفسها المضطربة.

عند الظهر لم تشعر ميريل بأية رغبة لتناول الطعام. وكانت الساعة قد شارفت على الثانية بعد الظهر عندما فتح روب الباب قائلاً لها: «تباً له، انه يرهقك كثيراً بالعمل.»

نظرت ميريل إلى ساعة يدها ثم نظرت إليه قائلة: «لم ادر انها قد اصبحت الثانية من بعد الظهر.»

«اعتقد انه ينبغي التعرف أكثر إلى بعضنا البعض، وبما انك أصبحت جزءاً من هذه الشركة. هل تناولت طعام الغداء؟ لا اعتقد انك فعلت، هيا إذاً. لقد ذهب أخي الأكبر إلى حيث لا أعلم، و...»

«لا، شكراً لك، لأنه لدي.»

قاطعها روب ضاحكاً: «اطناناً من العمل؟ أعرف ذلك وقد اخبرني راي ان ادعك لوحدك. لكنني متأكد انه لا يريد منك ان تموتين جوعاً وذلك قد يضر بصحتك. والان هيا بنا. لتناول سندويتشاً وفنجاناً من القهوة والا سوف تموتين خلال ساعات.»

ابتسمت ميريل قائلة: «أأدعو ذلك استبداداً منك؟»

«مثل أي رجل من عائلة ترافس.»

ابتسمت ميريل قائلة: «لا حاجة لك ان تقول لي هذا،

حسناً. سأقبل دعوتك لي وشكراً لك.» شعرت ببعض الراحة النفسية خاصة وان راي كان خارج المكتب الآن.

علق روب قائلاً وهو يفتح لها الباب: «يدهشني انك لا تتناولين طعام الغداء مع سكرتيرة مايك.»

«تعني كايت؟ ذلك لأنها تتناول طعام غدائها مع صديق لها.» وخرجا من الشركة ليقطعا الطريق التي تؤدي إلى مطعم قريب في الجوار.

«ماذا عنك؟ اليس عندك صديق يدعوك لتناول الطعام معه؟»

قالت ميريل مبتسمة: «الا تعتقد انك طرحت سؤالاً شخصياً؟ وأنا بالكاد اعرفك لكن اذا كنت تشعر بالفضول في معرفة أي شيء عن حياتي الخاصة، فيمكنك ان تسأل راي، اعتقد بأنه سيجيب عن اسئلتك.»

قال روب بتعال: «انني أبعد من ان أكون فضوليا. انما كنت أحاول ان أوجه لك مديحاً غير مباشر.» وكانا قد وصلا إلى المطعم، ففتح روب الباب لها ثم لحق بها. وتابع يقول: «لا يزعجك ذلك، فأنا لا أحاول الوصول لأي شيء، ذلك لأنه تمت خطبتي في مدينة كورتينا.»

قالت ميريل: «تهاني القلبية. لكن هل كانت عطلتك عطلة رومانسية ومن ثم اعلان للخطوبة السريعة، لأن عواقبها قد تكون وخيمة في النهاية.»

ابتسم روب قائلاً: «بدأت تتصرفين مثل راي، فلا تقولي لي انه قام بغسل دماغك بهذه السرعة... وقد كان يحذرني من سحر الحب بطريقة عملية وحساسة. لكنك اسأت فهمي، فأنا أعرف هيزر منذ فترة طويلة، لكننا لم نكن نرى بعضنا

باستمرار. لذا فرض عليّ قلبي في النهاية ان أعلن حبي لها على قمة جبل بوكول.»

«يا للرومانسية المثيرة!» صفقت ميريل بيديها ونظرت إليه بمرح مفكرة بالطريقة الرائعة التي يدير فيها روب دفة الحديث.

«بعد ان أعلنت حبي لها، قبلتها على وجنتيها ثم تزلجت إلى اسفل الجبل.»

أسرعت ميريل تقول بلطف: «ومن البديهي ان هيزر لحقت بك بعد ذلك.»

ضحك روب بصوت مرتفع في ذلك المكان الحميم ثم قال: «وماذا تفعل غير ذلك؟ لكن خطوبتي لم تكن رسمية، وانتظر عودة والدتي من رحلتها لنقوم بالتدابير اللازمة. انني اراهن بأنك ستحبين هيزر، كما أحبها كل من تعرف عليها، ويعتقد راي ان ما من أحد يمكنه التقرب إليها أو لمسها.»

قالت ميريل ولم تستطع ان تخفي لهفتها لذكر اسم راي: «صحيح؟ هل تعتقد انه يشعر بالحسد منك؟»

«لا أبداً، انما يعتقد بأنها امرأة رائعة لا استحقها، الا تعتقدين ان ذلك قول محزن ويحبط عزيمة المرء؟»

«الهذا السبب تريد الزواج منها؟ لأن راي وافق ورضي عليها؟»

«آه، أبداً وليس كما تظنين... كل ما في الأمر انه... حسناً، اعتقد انني عبثت ولهوت كثيراً وآن لي ان استقر. لكن الغريب في الأمر، انني كنت في كل مرة أعود إلى هيزر بعد عبثي ولهوي. أما الآن، فقد وجدت أخيراً ان اللهو والعبث لم يعودا نافعين، وان محبة راي لهيزر مكسب عظيم لي. لذلك

ومتى تعود والدتي، سوف نقيم حفلة الخطوبة في منزل راي فشقتي صغيرة جداً، وآمل أن تحضري هذه الحفلة. كما انني متأكد من ان راي...» توقف فجأة عن كلامه وقد شاهد راي مقبلاً نحوهما، ثم تابع قائلاً وهو ينهض من مكانه: «لقد جئنا على ذكرك! هيا انضم إلينا يا راي، كنت أخبر ميريل عن أخباري الجديدة.»

تقدم راي عابس الوجه ثم سحب كرسياً بينما تابع روب قائلاً: «كنت ادعوها إلى حفلة خطوبتي.»

أحست ميريل بارتعاش شديد في داخلها من ظهور راي المفاجيء وقالت متلعثمة: «لا... لا أعرف ان كان يمكنني ذلك... شكراً لك على كل حال.»

ابتسم راي بلطف قائلاً: «ربما تكون ميريل مرتبطة بأمور أخرى.»

ضحك روب وهو يغمز بعينيه لميريل: «في هذه الحالة، يمكنها ان تدعو صديقها معها، فلا مانع لدي.»

قالت ميريل بضعف: «سنفكر في الأمر في حينه.»

حول روب نظره إلى راي ثم قال معلقاً: «لم اتوقع رؤيتك في هذا المكان، لأنه ليس من الاماكن التي ترتادها عادة.»

لكن راي لم يتفوه بكلمة واحدة، فخامر ميريل شعور بأنه اعتقد انها وروب موجودان في هذا المكان فلحق بهما.

لاحظت ميريل بينما كانوا جميعهم يتناولون وجبة الغداء ان راي كان يرمقها بتأمل من وقت لآخر، فشعرت باضطراب من ذلك. لكن وعندما بدأ روب بالحديث عما كان له في اجازته، أخذت تصغي إليه باهتمام كأنما تريد ان تضع حداً لذلك الاضطراب الذي في داخلها.

قامت من مكانها عندما انتهت من رشف القهوة قائلة: «شكراً على دعوتك يا روب. لكنني مضطرة للرجوع إلى عملي الآن.»

قال راي عند ذلك: «نعم، اعتقد انه يجب ان تفعلي ذلك.» راقبها بعينين قاسيتين مما تأكد لميريل بأنه لا يزال غاضباً منها ثم تابع قائلاً: «يجب أن ينتهي ذلك التقرير بعد ظهر هذا اليوم، لأنني سأبدأ بالعمل فيه سريعاً. كما ان هناك رسالتين يجب ان يرسلا اليوم بالبريد.» مع ان نبرة صوته كانت لطيفة انما كان في كلامه تذكير واضح عما تعانيه من اضطراب وارتعاش منه.

قال روب أخيراً بعد ما انتهى راي من كلامه وأجاب ميريل باحترام: «انه من دواعي سروري، وأرجو ان نكرر ذلك في فرصة أخرى.»

تدخل راي قائلاً قبل ان تتمكن ميريل من التفوه بكلمة واحدة: «لا اعتقد ان ذلك سيحدث، وقد آن الأوان يا روب لتفكر بعملك ومستقبلك وتنسى أية أمور أخرى، وان لا...»

كادت ميريل ان تقول شيئاً، لكن روب غمز لها بعينيه مبتسماً يهدىء خاطرها. أحست به كصديق سيضيف على الأسابيع المتبقية لها في الشركة بعضاً من البهجة والسرور.

الفصل السادس

بدا واضحاً لميريل مع مرور الأيام ان راي لم يكتفِ بإبعاد روب عن تدخله في ما لا يعنيه ولكنه شغلها هي أيضاً ولم ينو أن يخفف عنها ضغط العمل، وإن اعترفت ان راي كان يعمل أكثر منها. لذا ولتروح عن نفسها، ذهبت فجر يوم السبت إلى نادي اليخوت الذي التحقت به للتدرب على قيادة المراكب الشراعية

تعلمت بسرعة المبادىء الأساسية منها، وقد اثنى عليها مدربها. لذا سيمكنها اليوم ان تحصل على بطاقة عضوية النادي، على أمل ان تتوفق في شراء مركب شراعي مستعمل.

كان ذلك اليوم الربيعي حاراً، فدخلت إلى مقهى النادي بعد ساعتين من التدريب المتواصل وقد شعرت بالتعب. كان قد افادها مدربها عن اسم شاب يبيع المراكب الشراعية المستعملة وسيكون بعد ظهر هذا اليوم هنا ليشاهد سباق المراكب الشراعية.

انتظرت في مقهى النادي تراقب الشاطىء واستعداد المسؤولين لذلك السباق الذي سيقام بعد ظهر اليوم، وراحت تتساءل عن اليوم الذي ستصبح قادرة فيه لتشارك في سباق من نوعه.

وجدت ان في إحدى زوايا المقهى، فريقاً من الأولاد يمرحون بصخب ينتظرون مدربهم فاستوت ميريل في

جلستها مستمتعة بحرارة اشعة الشمس التي دخلت من النوافذ المتعددة.

فاجأها صوت تألفه من وراءها فالتفتت بسرعة لتجد راي قائلاً: «اعرفك حالاً كيفما كنت تجلسين.»

ارتعشت ميريل وأملت ان لا يظهر ذلك على وجهها. لقد بدت وكأنها مازالت طالبة وقد ضبطت تخالف قوانين المدرسة المرعية. لكن لما تشعر بذلك، فهي لها الحق كما لغيرها في ان تكون هنا.

اجابت بوهن: «آه، مرحباً. لم اتوقع رؤيتك هنا.»

قال راي بهدوء: «والا لكنت فضلت عدم المجيء.»

«لا ابداً. فاليوم وبعدما أنهيت التدريب اصبح يحق لي ببطاقة العضوية. كما إنني آمل في شراء مركب شراعي بعد ظهر هذا اليوم.» وشعرت بحمرة الخجل تصبغ وجنتيها.

انبت نفسها على تصرفها السخيف وعلى ردة فعلها لرؤيته في النادي. فأبعدت نظرها عنه وعن قامته المديدة وتململت في مقعدها وهي تشعر بالانزعاج.

تمتم راي وهو يسحب كرسياً ليجلس إلى جانبها: «إذاً، سأرى كيف يمكنني ان أسرع لك في الحصول على بطاقتك. هل استطيع الانضمام اليك؟ آه، بالمناسبة، فأنا رئيس هذا النادي.» سكت قليلاً وقد ادرك عدم تصديقها له ثم تابع قائلاً: «ما اقوله حقيقة، الم تقرأي لائحة الضباط على لوحة الملاحظات؟»

«لا، لم أطلع عليها قط.»

«دعيني احضر لك فنجان قهوة آخر. هذا ان كنت حرة ولست برفقة احد ما.» ولما اشارت برأسها نافية تابع

يقول: «لكن اولاً...» ثم نهض متوجهاً إلى مجموعة من الأولاد ليتكلم معهم بأمور تجهلها. أخذت ميريل تراقبه متسائلة في ما لو كانت تعلم بقدومه مسبقاً، فهل كانت بقيت جالسة في هذا المكان؟ أو لو انها كانت تعرف بأنه رئيساً لهذا النادي، فهل كانت ستلتحق به يا ترى؟

رأته يطلب للأولاد الشراب المنعش مع رقائق البطاطس، وبعد ذلك عاد إليها وهو يحمل فنجانين من القهوة.

قال بلطف بعد ان جلس: «يا له من عالم صغير، فأنا لم اعرف انك تهوين هذه الرياضة.»

«آه، انني ما زلت مبتدئة، كما انني لم اتوقع رؤيتك هنا.»

ضحك قائلاً: «فكرت مرة في الابحار حول العالم، ولكن العمل وقف حاجزاً أمام هذه الفكرة ولم استطع تنفيذها.»

نظرت ميريل إليه متسائلة وهي تقول: «لكن ألا تشعر احياناً لو انك تحزم امتعتك وتبحر، وبالاخص انك كنت تطمح لذلك؟»

هز بكتفيه غير مبال ثم قال: «فكرت بذلك في عدة مناسبات... ولكن مسؤوليات العائلة والعمل، وما يتطلب مني... انك تعرفين ما اعني.»

اجابت ميريل وقد اعتبرت الأمر من ناحيتها ووجهة نظرها: «لا، لا اعرف الحقيقة.»

تابع مختصراً الموضوع: «طبعاً، انك لا تعرفين أموراً كهذه. على اية حال، لقد انتهيت من التفكير بهذا الموضوع الآن.» ثم وقف بسرعة.

سألته ميريل: «هل ستشترك في السباق؟»

هز رأسه نافياً وتطلع ناحية الأولاد: «انني فقط اوجه الأولاد ببعض التعليمات. هل أراك بعد ذلك؟»

«لا اعتقد، فسأذهب مباشرة بعد ان التقي بالرجل الذي قد اشتري منه مركباً شراعياً.»

«خسارة، فقد كنت سآخذك برحلة في زورقي الصغير.» ولمعت عيناه ببريق غريب ثم تابع مبتسماً: «هل تأتين معي؟»

هزت ميريل رأسها نافية وهي تقول: «آسفة، فليس لدي متسع من الوقت.»

اجاب بلطف: «آه، طبعاً، فلقد نسيت كلياً حياتك الاجتماعية الحافلة بالمواعيد، على أية حال، تمتعي بوقتك، آه، وكأنك بحاجة لأنكرك بذلك...» ثم ابتعد عنها منادياً على الأولاد الذين لحقوا به فرحين.

نظرت ميريل من النافذة لتراه يسير والأولاد يمشون خلفه إلى حيث رست تلك القوارب الصغيرة. ورأته يشرح للأولاد كيف يتم تجهيز القارب بالشراع وبدا على الجميع الفرح والسرور.

تقدم النادل منها متمتماً: «من الجيد ان يأتوا هؤلاء الأولاد إلى هنا. انهم ايتام، والسيد ترافس يعطف عليهم كثيراً وقد اشترى لهم كل ما يلزمهم للتدريب. الا تعتبرين ذلك كرم اخلاق منه؟»

أجابت ميريل مفكرة: «نعم، كرماً منه بالفعل.» وكادت ان تضيف، بأنها لم تتوقع منه امراً كهذا، ثم قطبت جبينها تفكر، كم ان راي مليء بالمفاجآت.

تقدم روب نحو طاولة ميريل في صباح يوم الاثنين. قائلاً: «تبدين واهنة هذا الصباح.»

تمتمت ميريل: «انني منهمكة بالعمل، هذا كل ما في

الأمر. لقد ضيعت نصف يوم عمل عندما كنت في بروجز، وتراني منذ عودتي منها اعمل جاهدة لأعوض ما ضيعته من الوقت حينها.»

ضحك روب قائلاً: «حسناً، لكن ما الذي تتوقعه مساعدة من مدمن على العمل مثل راي؟ الم يحذرك من تضخم الاعمال هنا؟ مع ذلك، لا ادري كيف وافقت، فيمكنك ساعة تشائين ان تجدي عملاً مريحاً أكثر من هذا.»

«هل اعتبر ذلك اطراءً منك؟ على اية حال فهذا الأمر لن يستمر طويلاً قبل ان...» توقفت فجأة وقد كادت ان تبوح بمخططاتها المستقبلية، ثم تابعت قائلة: «اعني، عندما انتهي من تلك التقارير المتراكمة فسوف تكون الأمور...» توقفت مرة أخرى عندما رأت راي يظهر فجأة في الغرفة.

سأل روب بمرح: «اليس لك عملاً تقوم به، يا روب؟ عظيم إذاً، فربما يمكنك ان تمنحني رأيك في تصميم الزجاج المصبوغ.» ثم حول نظره إلى ميريل قائلاً: «الم تنتهي بعد من تلك التقارير؟»

تمتمت ميريل: «تقريباً.» وقد اضطربت في داخلها كما هو الحال في كل مرة يتوجه راي إليها بالكلام.

فكرت ميريل بعد خروج روب من الغرفة ان راي لا يوفر أدنى فرصة لابعادها عن روب كلما شاهدهما معاً، أم هل يكون له تمنيات أخرى يا ترى؟ وهل ما يعتقده فيها يجعله يسرع إلى ابطال صداقة قد تكون بينها وبين روب؟

تنهدت ميريل بانزعاج من ان راي يتصورها امرأة سطحية تعيش على الهامش ولا يهمها سوى العبث واللهو وتمضية الوقت دون أي منفعة تذكر، وهل مع ذلك يعتقد

بأنها سوف تجبر روب إلى نسيان خطوبته من هيزر؟

حاولت ميريل ان تبعد هذه الأفكار عن رأسها، ثم قالت لنفسها، لماذا اضيع وقتي واتساءل عن خواطر راي ونواياه؟

مالت بظهرها إلى الوراء تشكر حظها لتراكم الاعمال التي تبعدها لفترات عديدة عن افكارها المقلقة كما تساعدها على التركيز وعدم الارتباك.

عندما دخلت ميريل إلى غرفته بعد الخامسة مساءً وقد انجزت كل الرسائل التي كلفها بها، وجدته يستعد للخروج، فوضعت تلك الرسائل امامه وأخذ يوقع اسمه عليها الواحدة بعد الأخرى، ولما انتهى منها ناولها اياها لترسلها بالبريد.

ثم قال لها وهو ينظر إليها بغموض: «لقد اجهدت نفسك كثيراً بهذا العمل.»

اجابت ميريل: «إذاً، لاحظت ذلك؟ حسناً، فانا لا انكر انك حذرتني مسبقاً عن مشقة العمل هنا.»

«هذا صحيح. لكن منذ عودتنا من بلجيكا لم تهدأي ولا للحظة واحدة.»

قالت ميريل. وقد توجهت نحو النافذة لتغلقها: «لذلك، قررت ان امنح نفسي مكافأة، فمتى اصبح في منزلي سآخذ حماماً دافئاً واتناول عشاء خفيفاً ثم اذهب إلى الفراش باكراً.»

رفع احد حاجبيه بدهشة وهو يقول: «اهكذا تكافئين نفسك؟ ما رأيك لو دعوتك إلى العشاء هذه الليلة؟»

نظرت ميريل إليه متعجبة، لأنه منذ عودتهما من بروجز، كانا يتجنبان بعضهما، ما عدا طبعاً، في المسائل العملية.

ونهض من مكانه ليضع عليه معطفه فقالت له: «هل انت جاد في ما تقوله؟»

«لم أكن أكثر جدية مثل الآن.» وتوجه إلى الباب ثم فتحه متابعاً قوله دون ان يلتفت إليها: «سأمر عليك عند الساعة السابعة النصف.»

خرج بعد ذلك تاركاً ميريل في حيرة ودهشة لما سمعته منه.

يا له من متعجرف! فقد تكلمت عن مكافأة وليس عن عقاب! وتصورته واقفاً بقامته المديدة امام باب منزلها يقرع الجرس، لكنها لا ترغب بالخروج معه، ففكرت ان تستحم في الساعة السابعة والنصف تماماً وعندها لن تتمكن من سماع رنين الجرس. ارتدت معطفها واسرعت بالخروج.

وصلت إلى حيث اوقفت سيارتها وادارت المحرك، لكنه لم يعمل إلا بعد فترة طويلة. وكانت ميريل تعلم جيداً ان بطارية السيارة يجب ان تستبدل بأخرى جديدة، فقررت استبدالها في الحال.

توجهت إلى الميكانيكي لاصلاح سيارتها وامضت عنده فترة لا بأس بها، ولم تصل إلى منزلها الا في الساعة السادسة والثلث.

بدلت ميريل ملابسها لترتدي معطفاً منزلياً، مفكرة بما قد يكون من وراء دعوته لها، ولم يكن هناك سبب غير انه يريد منها ان تبتعد عن طريق روب، فضحكت عالياً من تصرفاته التي لا لزوم لها على الاطلاق.

توجهت إلى المطبخ وكلها حماس كي تقلق وتشغل بال

راي، فلماذا له الحق في ان يتلاعب بمشاعر واحاسيس الآخرين؟ وقد كذب عليها بما يختص بإليز، فلماذا لا تحاول هي الانتقام منه؟

عند ذلك، غيرت رأيها واسرعت تستحم استعداداً للخروج معه. تذكرت ماكس وكم اعتبرته جزءاً مهماً في حياتها، وحاولت ان تقارن بينه وبين راي الذي تكراه لا تنسيها فقط ماكس، بل كل الأيام الجميلة التي قضتها معه.

عندما جاء راي مساءً، شعرت بدقات قلبها تتسارع من نظرات الاعجاب التي وجهها إليها، ثم قال لها: «انك دقيقة في مواعيدك كالعادة، كما انني أحب ذلك من صديقتي.»

«صديقتك؟» ولما لم يعط أي جواب، احست بشيء ما في داخلها يدفعها لتقول له: «لكن الدقة لم تكن من احدى خصائص إليز.»

قطب جبينه متسائلاً وهو يقول: «لا؟ على اية حال، من اين لي ان اعرف ذلك. لكن ما رأيك لو نكف عن التحدث عن إليز لهذه الليلة؟ يبدو لي انه حديث يحيط به الغموض.»

ابتسمت ميريل قائلة وهي تجلس في سيارته الفخمة: «آه، طبعاً. على فكرة، إلى اين نحن ذاهبان؟»

«إلى مكان جديد، وقد افتتح في أول هذا الشهر، ويتميز بتقديم اجود انواع الماكولات.»

قالت باشراق: «عظيم، فانا اشعر بجوع كبير.»

«كما يمكننا الرقص، فهل ترغبين بذلك؟»

تذكرت انه قد مر عليها وقت طويل لم تدع فيه إلى حفلة راقصة، فقالت ممازحة: «ذلك يتوقف على من سيرقص معي.»

قال ضاحكاً: «لقد كنت اتدرب طوال الوقت.»

لم تستطع ميريل اخفاء ضحكتها من قوله وقد لمست الجانب المرح والفكاهي منه.

قال لها وهو مازال منطلقاً بسيارته: «هل قابلت ذلك الرجل الذي تريدين ان تشتري منه المركب الشراعي؟»

«نعم، ولقد اشتريته فعلاً. بالمناسبة، كيف كانت أمورك مع الأولاد؟»

قال مبتسماً: «استطاع اثنان منهم ان يقودا الزورقين ببراعة فوق الأمواج الهائجة وكانا متحمسين للغاية.»

«الم ينشغل بالك عليهما؟»

«لا، ابداً. فقد كانا يرتديان سترة النجاة ومن ناحية أخرى، فانا لا ادع الأولاد يبتعدون كثيراً عن الشاطىء.»

قالت ميريل عند ذلك متأملة: «انك تقوم تجاههم بعمل جيد ومسلٍ في الوقت ذاته.»

طاطأ برأسه ضاحكاً: «ذلك لأنني رجل جيد أيضاً.»

«كما انك كريم، لقد علمت بأنك قدمت لهم تلك القوارب الشراعية.»

«يبدو ان اخباري تشاع بسهولة. فأرجو ان تتوقفي عن مدحي، يا ميريل، والا سوف تثيرين عصبيتي. كما أنني لاحظت بأنك لا تتصرفين كعادتك، فلا تنزعجي مما اقوله لأنك تعلمين انها الحقيقة.»

توقف بعد لحظات امام مطعم كبير وفخم، فنظرت ميريل إليه وقد لاحظت انه بناء قديم العهد، فقالت له متسائلة: «اتدعو هذا بناء جديداً؟»

«كنت اعني... لقد افتتح حديثاً كمطعم ليلي.»

قالت بعد ان دخلا المطعم وجلسا إلى الطاولة: «انه فعلاً مكان رائع.»

«يسعدني جداً أنه أعجبك.» ثم أخذ يستعرض لائحة الطعام ولكنه رفع رأسه فجأة وقال مبتسماً: «ان روعته لا تضاهي ابداً روعة من دخلت إليه.»

شعرت ميريل بدقات قلبها تتسارع، فأخفضت رأسها خجلاً متمنية لو ان راي انساناً مختلفاً. فهي لغاية الآن لم تتأكد منه بعد ولا تعلم لماذا يخفي اسراراً حول صداقته بابنة خالتها إليز.

قال اخيراً بعد ان امر بالطعام: «تذكرني هذه اللحظات بالليلة التي سهرناها معاً في بروجز، وقد صففت شعرك بطريقة مختلفة عن الآن، بينما كنت ترتدين فستاناً زهرياً جعلك في غاية الجمال.»

قالت مندهشة: «يدهشني جداً انك تذكر تفاصيل دقيقة كهذه.»

«لا يمكنك نسيان الذي لا ينسى.» قال بلطف ذلك جعل من ميريل تتساءل ان كان ما سمعته صحيحاً. فركزت نظرها في كأس الشراب المنعش وقد شعرت بارتباك شديد في داخلها. ثم اضاف قائلاً: «مع ذلك، لا بد وانك سمعت اطراءات كثيرة من هذا النوع.»

هل كان ذلك تأكيداً لما يعتقده فيها؟ وتساءلت كيف ان أي شيء لا يفوته، فقالت بحيوية: «لكن ليس دائماً وكما تظن.»

«إذاً، ساكرر ذلك عليك كل خمس دقائق.»

ضحكت قائلة: «من اين اتتك كل هذه العذوبة والخفة؟ انك لست مجبراً على عمل كهذا.»

«من الذي يتحدث عن العمل الآن؟ بل انه قول مفرح وصادق. آه، لقد حضر الطعام.»

قالت له بعد ان جهزت الطاولة بالطعام: «لم تخبرني بعد كيف التحقت بشركة التصاميم الخشبية. اعني، هل انك في الشركة كتحصيل حاصل لأنها تخص العائلة، ام انك فيها بملء ارادتك؟»

نظر إليها مفكراً ثم قال: «تريدين ان اكلمك عن نفسي؟ أي رجل يمكنه رفض دعوة كهذه؟»

كانت ميريل تريد التحدث بأي شيء لتبعد الاضطراب الذي يتملكها في داخلها، فقالت متعمدة عدم المبالاة: «ليس الكثير على ما اعتقد.»

ضحك فجأة ولمعت عيناه بخبث وهو يقول: «حسناً، يا ميريل، لك ما تريدين.»

أخذ يتحدث بمرح عن تجاربه العملية الخاسرة في سنواته العشرين، وعن كفاحه ومثابرته المتواصلة بينما كانت ميريل تصغي إليه بشغف. وقد تابع قائلاً: «وكان أبي المعلم الموجه والمخلص لي وبالأخص بعد وفاة والدتي. ولم يتركني حتى بعد ان تزوج من ستيلا بل بقي يقدم لي العون والنصح إلى ان وصلت إلى ما انا عليه الآن.»

«إذاً، فقد كنتما قريبين من بعضكما.» قالت ميريل ذلك وقد لاحظت الصراحة والصدق بما رواه عن نفسه، والذي يصعب ربطه بالجانب الآخر والمخيف منه.

هز برأسه موافقاً: «نعم، كنا قريبين جداً.»

قالت ميريل وهي ما زالت مندهشة من شعوره النبيل وعاطفته الكريمة نحو والده: «انني متأكدة من انه لو كان على قيد الحياة، لكن فخوراً بك كثيراً. لقد اكملت عمله

وأضفت عليه مهارتك ودقتك مستعيناً بنصائحه وتعليماته التي غرسها في عقلك.»

قال لها بلطف: «انك تتعمدين الاطراء هذه الليلة.» ثم تابع بعد ان شعر بمدى ارتباكها: «والآن، ماذا عنك؟ لقد اخبرتني عندما كنا في بروجز عن عملك السابق، لكن ماذا قبل ذلك؟»

تكلمت ميريل باضطراب، فقد كانت ذكرى بروجز تهز مشاعرها كلما يأتي الحديث عنها. فأجابت عن سؤاله: «كما اخبرتك سابقاً، لقد كان والدي مهندساً في تنسيق المناظر الطبيعية والشوارع، بينما كانت والدتي تعمل على بيع النباتات والورود النادرة الوجود، وكنت اساعدها في العطلة الاسبوعية وخلال العطلات المدرسية، لكن هذا العمل لم يجعل منا اغنياء وبيعت تلك الأرض عندما توفي والديّ.»

توقفت عن كلامها مترددة، وبدا على وجه راي ملامح الاهتمام ثم تابعت قائلة: «لذا تراني الآن، اعتني بحديقتي دائماً في العطلة الاسبوعية.»

«لو لم أرك بنفسي تقومين على تنظيم حديقتك، لما صدقت بأنك من هذا النوع.»

قالت ميريل مبتسمة وقد لمست الألفة التي تحيط بحديثهما: «بالنسبة لذلك، فأنا لم اتصورك قط وأنت تسن الأزميل وتتخبط بين نشارة الخشب.»

مال نحوها ليمسك بيدها. نظرت إليه مندهشة تريد الاعتراض وحاولت ان تسحب يدها من يده، لكنه شد على يدها أكثر قائلاً: «اعتقد انه يجب ان نفهم بعضنا أكثر من أي وقت آخر. وارى ان الوقت مناسب الآن حول فنجان من القهوة في الصالة الأخرى.»

قالت ميريل بأدب: «كان عشاء لذيذاً، شكراً لك.»

«سوف أدعو سام وآنا إلى هذا المطعم عندما يأتيان إلى بريطانيا. لقد استمتعت بالعشاء انا ايضاً، فأنا اتدبر نفسي في اماكن كهذه عندما تسافر ستيلا، لأنني لا أجيد طهي الطعام.» وامسك بيدها يخرج بها إلى الصالة الأخرى وهي قاعة للرقص. كانت الفرقة الموسيقية تعزف موسيقى هادئة. فجلسا إلى احدى الطاولات يرشفان القهوة، ثم قال راي مبتسماً: «هيا لنرقص.»

عندما انتهيا من الرقص قال لها: «لنخرج من هذا المكان.»

لم تجب ميريل واذعنت لما قاله ومشيا إلى السيارة واصابع يديهما تتشابك بعضهما البعض.

جلست ميريل في السيارة تفكر في حقيقة مشاعرها تجاه هذا الرجل الذي أخذ فكرة سيئة عنها وقد تعمد دعوتها لهذه السهرة من اجل مطامعه الشخصية، كما انه انكر معرفته بأي شيء حول إليز في بداية هذه السهرة. ومع ان ميريل لا تثق به، وغاضبة من الذي يعتقده عنها، فقد كانت تشعر بميل كبير نحوه.

اوقف راي سيارته امام منزلها، ثم قال لها: «اعتقد انه يمكنني ان ادعو نفسي لفنجان من القهوة.»

اجابت ميريل ممازحة: «صحيح؟ ولِمَ؟»

تمتم مبتسماً: «حاولي ان تدعيني وستعرفين لما.»

فكرت ميريل في نفسها، ولما لا ادعوه، فربما يفضل ان يكلمني بأمر روب على انفراد وفي هدوء منزلي.

عندما دخلا قالت له بطريقة رسمية: «اجلس من فضلك، بينما احضر القهوة.»

شعرت بأن الأمر لن يكون سهلاً عليها وهو في منزلها الذي كان ملاذاً لها منه. واحست به وكأنه احتل المكان كما يحتل دائماً أي مكان يوجد فيه.

ارتجفت يدها وهي تضع مسحوق القهوة في الآلة ثم ضغطت على الزر لتديرها. وراقبت الحليب الذي بدأ يهدد بالفوران فوق الغاز وهي غائبة الذهن تماماً، لكنها ولما ادركت ماذا يحصل، اسرعت لتسحب الوعاء لكن المسكة علقت بكم قميصها، وعندما حاولت ان تخلص الكم العالق، حرقت اصبع يدها، فصرخت متألمة من ذلك.

اسرع راي إليها قائلاً: «ماذا هناك؟» وجذبها بسرعة إلى المغسلة ثم فتح صنبورة الماء على اصبعها المحروق.

قالت ميريل: «لقد كان ذلك عمل غبي مني.»

«هل عندك ضمادة؟»

قالت ميريل بضعف: «في ذلك الدرج.»

لف راي الضمادة حول يدها بعناية فائقة ثم قال: «اذهبي وارتاحي، فأنا على الأقل اجيد تحضير القهوة.»

اسرعت ميريل تجلس على الأريكة، وتنهدت بعمق. ثم لم تمض لحظات قليلة، حتى عاد إليها حاملاً صينية القهوة ووضعها على الطاولة.

سألها وهو ينظر إلى اصبع يدها: «هل أنت أفضل حالاً الآن؟»

ضحكت ميريل بارتباك ثم قالت: «لا تقلق، فساتمكن من الطبع على الآلة الكاتبة غداً.»

قال بلطف وهو يجلس إلى جانبها: «قد يدهشك ان قلت لك انني لم أفكر لحظة بذلك.»

قالت لنفسها توٴنبها، لما لم اختر كرسياً آخر لأجلس عليه.

نظر راي إليها قائلاً: «ارغب ان اكلمك في أمر يخصنا نحن الاثنين.»

تعالى في تلك الاثناء رنين الهاتف، فحاولت ميريل النهوض، لكنه امسك بها قائلاً: «دعيه يرن.»

«لا استطيع، لأن جارتي ديان تتوقع اتصالاً من المستشفى. وقد يكون أمراً مهماً.»

لكن المكالمة لم تكن من المستشفى، بل من روب الذي جاءت نبرات صوته مبهجة عبر الاسلاك وهو يقول: «هل راي عندك؟ لقد قال انه سيدعوك لتناول العشاء خارجاً، وآسف ان كنت افسدت عليكما حفلتكما الصغيرة، ولكن...»

لم تنتظر ميريل لتسمع بقية كلام روب، بل مدت سماعة الهاتف إلى راي، ثم حملت صينية القهوة ودخلت بها إلى المطبخ، عادت بعد قليل لتجد راي قد انهى مكالمته فقالت له: «ارأيت، لقد كان ذلك روب، الا يسعدك انني اصريت على الاجابة؟»

وجدت ان وجهه قد تغير وقست ملامحه وهو يقول: «لقد تعطلت سيارته ويريد مني ان اعيد هيزر إلى منزلها، وآسف ان كنت سأغادر بسرعة.»

قالت ميريل بلطف: «ارجوك لا تعتذر، فهذه الأمور تحدث دائماً، اليس كذلك؟ كما انني احب روب.»

«نعم، لاحظت منك ذلك.» وجاءت نبرة صوته لتؤكد لها شكوكها من دعوته لها إلى العشاء هذه الليلة.

«كان يمكنه ان يتدبر امره بواسطة سيارة اجرة وبالتالي وفر علي هذا العناء.»

قالت ميريل دون أي اهتمام: «اعتقد انهما يقتصدان من اجل حفلة زفافهما. كما اعتقد انك توافقهما على هذا الرأي. تبدو عليك السعادة لخطوبتهما، لكن يدهشني ما أنت عليه، مع انك تجد ان الحياة الزوجية هي الوضع الأكثر تلاؤماً.»

فسألها راي بحذر «تلاؤماً من ماذا؟ الأنني لم اجد حتى الآن المرأة التي تناسبني؟ بينما امارس عملاً مرهقاً لا يمنحني وقتاً كافياً، هذا ان كنت لاحظت ذلك.»

اجابت ميريل: «نعم لاحظت ذلك. لكنني اشعر ان روب غير ملتزم للشركة كالتزامك لها، ويجد دائماً وقتاً للعب والمرح ولِمَ لا؟ فهو رجل جذاب ورائع.»

ادركت ان ما قالته أخيراً سوف يزعجه، لكنها تريد ذلك لأنه لا يستطيع الاستمرار من فرض نفسه على الآخرين أو تحريكهم على هواه مثل قطع الشطرنج فقط لير ضي غروره.

اكفهر وجه راي قائلاً: «انني متأكد من انك لست الوحيدة التي تظن ذلك.» ثم هز بكتفيه غير مبالٍ وتوجه نحو الباب وهو يقول: «على اية حال، يبدو ان روب قد تعقل أخيراً ووجد ان هيزر هي المرأة التي تناسبه. لذا، اشك في ما لو يستمر في حياة العبث واللهو.»

اعتقدت ميريل ان ما قاله اخيراً هو الذي كان يريد قوله منذ البداية ولم تسنح له الفرصة الا الآن، وكأنه يقول لها وبطريقة لبقة، ابتعدي عن طريقه.

هتفت بلطف: «لماذا، يا راي؟ يبدو وكأنك توجه كلامك الي.»

دار بسرعة نحوها وقد تغيرت ملامح وجهه وهو يقول: «نعم، انه مجرد تذكير قد يكون ضرورياً.»

ابتسمت ميريل قائلة: «الهذا السبب دعوتني هذه الليلة؟ شكراً لك على اية حال. اعتقد بأنني يجب ان اسعد لأنك تعتبرني بأنني قد اهدد بفسخ خطوبة روب.»

قال بحنق: «لا، لم يكن ذلك السبب الرئيسي.»

ضحكت ميريل بلا مبالاة قائلة: «دعك من ذلك يا راي، واتساءل لو تكون صادقاً ولو لمرة واحدة. ففي كل مرة تجد فيها روب في غرفتي، تقوم بالمستحيل لتبعده عني، فهل تعتقد انني لم الاحظ ذلك منك؟ لقد قال لي في احدى المرات انك سعيد لخطوبته وهذا فعلاً ما قلته لي هذه الليلة. إذاً، تجدني شيئاً يهدد مصلحة روب، أو ربما وحشاً ضاريا يهدد المجتمع بأسره.»

تقدم راي خطوة إلى الأمام، والغضب يعلو محياه الجميل قائلاً: «اسمعي الآن.»

قاطعته بحدة: «لا، اسمع انت... ألا تعتقد انك تتصرف على طريقة الأجداد؟ أنا فتاة أعيش في عصر حديث وإذا رغبت بأي شيء اسعى للحصول عليه بنفسي وبمجهودي الخاص. وكذلك الحال مع الرجل، فأنا لن انتظره بل اسعى إليه، انما هذا لا يعني ابداً بأنني اسعى وراء روب.»

صاح راي قائلاً: «تباً لك! ما الذي ترمين إليه؟»

«ألست واضحة في كلامي، اعني ان تتوقف عن توجيه الفيتو إليّ وتوجهه مباشرة نحو روب، وبعد كل هذا، انه الشخص الذي يدور اهتمامك حوله.»

اصبح الغضب أكثر عمقاً في ملامح وجه راي وقد تكلمت ميريل بالذي كانت تريد قوله... وجعلته يدري بأنها عرفت ماذا كان يهدف من وراء دعوته لها. وتابعت تقول له بهدوء:

«لذا، أقول لك، لا تضيع وقتك لتبعدني عن طريق روب، ويؤسفني جداً وأنت الواسع الاطلاع ان تسيء تقديرك بي.»

أخذا يحدقان ببعضهما لبضع لحظات وقد اعمى الحقد والغضب بصيرتيهما. ثم وكأنما قرر راي ان يزيل الغضب عنه قال لها: «حسناً، يا ميريل، ربما انني فعلاً اسأت تقديرك.»

تحول عنها ليفتح الباب ويخرج منه. سمعت ميريل بعد لحظات قليلة انه أدار محرك سيارته وانطلق مبتعداً في هدأة الليل.

أخذت الدموع تنهمر غزيرة من عينيها، فمسحتها بسخط وغضب. وقد تذكرت اتهامه الواضح لها بالنسبة لروب الذي لم يكن يثير اهتمامها ومشاعرها على الاطلاق.

الفصل السابع

سأل روب عندما دخل غرفة مكتب ميريل بحجة انه يريد بعض الأوراق: «ما الذي يزعج شقيقي الأكبر هذا الصباح؟» ثم وقف أمام النافذة يحدق بالشارع وتابع يقول عندما لم يلق أي جواب لسؤاله: «كانت تعابير وجهه كئيبة مثل هذا الطقس.»

قالت ميريل دون مبالاة: «صحيح؟ لم الاحظ عليه ذلك.» لم تكن بمزاج يسمح لها مناقشة ملامح وجه راي واسبابها، أو أي شيء آخر بخصوصه. لقد كان يتصرف معها بأدب هذا الصباح عندما اطلعا معاً على البريد، ولم يذكر شيئاً بخصوص ليلة البارحة ولا هي انتظرت منه ذلك. لأنه من النوع الذي ينزع عن ذاكرته أية حادثة لا يكون راضياً عنها وكأنها لم تكن من اساسها، ثم يعود إلى ممارسة حياته الحاضرة بعزم ونشاط.

شغلت ميريل حالة واحدة، لِمَ لا تقدم استقالتها اليوم؟ فما من شيء يجبرها على الاستمرار في عمل جوه مشحون بالعداء والمراوغة، ومهما كانت تجد هذا العمل ممتعاً ومفيداً.

تابعت عملها على الآلة الكاتبة وهي تصغي وتستمع إلى ثرثرة روب، إلى ان قال لها فجأة: «اتتناولين طعام الغداء معي، يا ميريل؟»

أحست بتصلب شديد في اعضائها ولم تجبه بسرعة، ثم

تظاهرت بأنها تدرس التقرير الذي أمامها باهتمام بالغ.

تقدم روب ليقف إلى جانب طاولة عملها قائلاً: «هل أنت غاضبة مني لأنني اتصلت بمنزلك الليلة الماضية؟»

هزت برأسها نافية بينما كانت تقلب صفحات التقرير الذي بين يديها.

تابع روب قائلاً: «يسعدني جداً ان انظر إلى فروة رأسك، لكن أفضل النظر إلى وجهك. ماذا قلت، لم تجيبي بعد بخصوص تناول الغداء معاً.»

«لا تضغط عليّ، يا روب.» قالت ميريل ذلك ونهضت من مكانها متوجهة إلى احدى الخزائن في الغرفة، وقد تساءلت لماذا تظهر النفور لروب وترفض دعوته لها، ألأن راي طلب منها ذلك وهو الذي لا يقيم لها أي اعتبار بالطريقة التي يعاملها بها؟ وقد جعلها تشعر بأنها تهدد بفسخ خطوبة روب من هيزر، بينما الحقيقة هي عكس ذلك تماماً.

الح روب قائلاً: «آه، يا ميريل. أريد ان اطلب منك بعض النصائح لأمر ما و...» توقف روب عن متابعة كلامه لظهور راي المفاجيء في الغرفة.

قال راي بهدوء لروب بينما كانت نظراته تتجه نحو ميريل: «اراك تضيع وقتك مرة ثانية، يا روب. قد تكون غير مشغول، لكن ميريل حتماً مشغولة. وبما انك على هذه الحال، سأعطيك تقريراً تدرسه وتملأ به وقت فراغك.» قال ذلك وعاد إلى غرفة مكتبه.

تقدم روب ليقول لميريل بصوت خافت: «اتساءل احياناً ان كان راي يغار مني.»

ابتسمت ميريل قائلة: «من يدري. قد يكون ظنك في محله.»

قال روب قبل ان يسرع بالدخول إلى غرفة راي: «اذاً، ملتقانا في الساعة الواحدة في المطعم ذاته.»

تأكد لميريل الآن ان الهم الوحيد لراي، ان يتأكد ويضمن زواج روب وان يبعده عن أية فتاة قد تغير مجرى حياته المستقبلية مع هيزر. فأغمضت ميريل عينيها وفي نفسها الم وهي تفكر بأن الاستمرار في هذا العمل بات مستحيلاً.

بتأثر شديد، دفعت بمقعدها إلى الوراء مرددة في فكرها: ماذا يظن راي نفسه، فمن المؤكد ان روب يستطيع تدبير ومعالجة أموره الخاصة. وقررت عدم الاهتمام بمعتقداته وان تتصرف فقط بالذي تمليه عليها ارادتها.

بعد الساعة الثانية عشرة، اضطر راي للخروج من المكتب لارتباطه بغداء عمل مما جعل ميريل تشعر بالراحة والاطمئنان. لكن وبالرغم من حقدها عليه، تمنت وهي تقطع الطريق إلى ذلك المطعم، ان لا تقع عيناه عليها وهي متوجهة للقاء روب.

طلبت ميريل طبقاً من الحساء وقهوة، ثم توجهت بالكلام إلى روب قائلة: «هيا، يا روب. لقد قلت لي انك تريد بعض النصائح، ويسعدني جداً ان اقدمها اليك.»

«اتذكرين انني قلت لك مرة انني سأقيم حفلة لخطوبتي؟» هزت ميريل برأسها ايجاباً، فتابع قوله: «حسناً، ستعود والدتي من رحلتها يوم السبت المقبل، وقد طرأت على رأسي هذه الفكرة، ان اقيم حفلة الخطوبة مساء السبت وتكون أيضاً ترحيباً بعودة والدتي من السفر.»

رفعت ميريل حاجبيها متسائلة: «إذاً، ما هي النصيحة التي تريدها مني؟»

«لقد فكرت ان أقيم احتفالاً يهدف إلى ثلاثة أشياء: خطوبتي من هيزر، وترحيباً لعودة والدتي، واعترافاً بالشكر لراي.»

نظرت ميريل إليه مطولاً ثم قالت: «ما علاقة راي بكل ذلك؟»

بدا الحرج على روب لفترة وجيزة قبل ان يقول: «آه، اعتقد انه عانى الكثير من المشاكل معي، أعني انه كان دائماً جديراً بالاحترام ومؤدباً... ويساعدني دائماً في التخلص من أي مأزق اتورط فيه، بينما لم أفه يوماً حقه.»

«آه، فهمت.» وتذكرت معاملة راي للأولاد اليتامى على الشاطىء، انه الجانب الانساني له والذي يخفيه دائماً. وتابعت تقول: «لكني لا اعتقد ان يوم السبت سيكون مناسباً لراي، لأنه مضطر للذهاب إلى يورك لمقابلة أحد الأشخاص و...»

قاطعها روب بحماس: «هنا يكمن الأمر كله، انني سأقيم الحفلة في منزله، لأن شقتي صغيرة جداً، كما ان والدتي تعيش معه وستكون مفاجأة لكليهما عندما يعودان... فالحفلات العفوية تكون دائماً الأفضل. سأستعد للحفلة دون ان يعلم بها وعندما يعود سيفاجئه الأمر كثيراً.»

«انني لا أعرف شيئاً عن ردات فعل والدتك بالطبع، انما هل تعتقد ان راي سيتقبل مفاجأة من هذا النوع؟ فإن كانت معلوماتي صحيحة، فالاجتماع الذي سيحضره في يورك معقداً وصعباً، واشك ان يعود بمزاج طيب.»

أجابها روب بلطف: «اعتقد انك مخطئة في تقديرك. لأنني اعرفه أكثر مما تعرفينه أنت... وذلك لأنك ترين فقط الجانب العملي منه.»

قالت ميريل مفكرة: «حسناً، وبما انك تعتقد بأنه سيتمتع بالحفلة، ماذا عن والدتك وكيف ستبقي الأمر مفاجأة لها وهي ستعود يوم السبت؟»

«آه، انها لن تعود إلى المنزل قبل المساء، لأنها ستجتمع اولاً بصديقة لها وسيمضيان يومهما مع بعض.»

قالت ميريل عند ذلك متسائلة: «إذاً، ما هي النصيحة التي تريدها مني؟ بينما قمت بكل الترتيبات اللازمة.»

«انها... انها مساعدة في الحقيقة... واتساءل إذا كان في استطاعتك التكفل بأمور الحفلة من أجلي؟ لجهة الطعام وتوابعه. بالطبع، في استطاعة هيزر ان تتكفل بهذه الاشياء، انما اردت ان افاجئها بذلك هي الأخرى علماً مني بأنها تحب المفاجآت السعيدة. فإن كنت تستطيعين تدبير الأزهار وتأمين وصولها إلى المنزل بعد ظهر يوم السبت و... ما رأيك بالفكرة إذاً؟»

بدا روب متحمساً وغير آبه لشيء مع انها كانت غير مقتنعة بعد لردة فعل راي في ذلك. فقالت بحذر: «يبدو الأمر مدهشاً حقاً، لكن هل تعتقد بأنه سيكون كذلك معهما؟»

أجاب روب ببساطة: «بالطبع سيكون كذلك... هل ستقدمين لي هذه الخدمة؟»

قالت ميريل ببطء: «حسناً، لكن وعلى مسؤوليتك فقط.»

«سوف تأتين إلى الحفلة بالطبع؟» وعندما لاحظ ترددها قال بسرعة: «عليك ان تحضري! فهيزر تريد التعرف إليك، ويسعدني ان أراك بيننا... خاصة وانك ستتكفلين بكل التحضيرات للحفلة.»

ضحكت ميريل قائلة: «اعتقد انه بامكانك ان تسحر الطيور

وتخرجها من اعشاشها.... حسناً، سأحضر الحفلة... لكنني لن اتأخر.»

«عظيم.» ثم سحب من جيب سترته بعض الأوراق المطوية قائلاً: «لقد دونت لك بعض التفاصيل عن الطعام والمشروبات المنعشة، وارقام الهاتف التي ستضطرين للجوء إليها.»

أخذت ميريل الأوراق منه ثم وقفت قائلة: «سأعود إلى المكتب. وبما ان راي لن يعود قبل الثالثة، فسأباشر بالاتصالات اللازمة لاجل الحفلة.»

«انه صنيع لن أنساه منك. سنكون في حاجة أيضاً إلى نذال ولن تهمني التكاليف لأنني أريد شيئاً مميزاً وخاصاً... اشكرك مرة أخرى، انك فعلاً رائعة.»

توصلت ميريل قبل عودة راي إلى المكتب، لأن تقوم بتلك الاتصالات الضرورية للحفلة وكانت تدندن بلطف عندما دخل، فنظر اليها بشك وبادلته نظرته بلا مبالاة. كانت تشعر بشوق لتلك الحفلة الذي سيقيمها روب، ولا بد انها ستستمتع بوقتها كثيراً برفقة اناس مما يجعلها تتجنب راي طوال السهرة.

يوم الجمعة، قدمت ميريل لراي الملاحظات اللازمة التي سيحتاجها في اجتماعه في يورك، وغادرت المكتب وهي تفكر بمعاملته وردات فعله الطيبة والحنونة تجاه طيش وعبث روب قبل ان يقرر الزواج والاستقرار.

كانت ميريل تجفف شعرها بعد ظهر يوم السبت عندما جاءت إليها جارتها ديان تحمل رسالة لها وتشرح لها بأن الرسالة وجدت بالخطأ مع رسائلها.

لم تكن طريقة الخط المكتوبة على الظرف مألوفة لدى ميريل، وقد ارسلت إلى عنوان كوخ براكن، لكن البروفسور وندل أعاد ارسالها اليها من جديد. فتحتها ميريل على مهل واكتشفت انها من ريتشارد ستيرلينغ. وتذكرت انه قال لها عندما التقته في بروجز بأنه سيحاول الاتصال بها عندما يعود إلى المنطقة وبما انه لا يعرف عنوانها، اضطر لأن يرسل رسالته إلى كوخ براكن.

لاحظت ميريل ان تاريخ الرسالة يعود إلى اسبوع مضى. وقد كتب يدعوها إلى العشاء في مطعم فوربيشر في تمام الساعة السابعة من يوم السبت، أي لهذه الليلة. وقد جاء في الرسالة:

«ارجو ان تتناولي طعام العشاء معي، لكن إذا كانت ظروفك تمنعك من ذلك، اتصلي بي على عنواني في لندن قبل ظهر يوم الخميس، لأنني سأذهب إلى شمالي البلاد ولا أعرف كيف ستكون اتجاهاتي بعد ذلك.»

كانت ميريل تعتبر ريتشارد رجلاً لطيفاً وترغب كثيراً في ان تشاركه طعام العشاء، لكن دعوته جاءت لهذه الليلة بينما هي مدعوة لحضور حفلة خطوبة روب.

جلست وهي محتارة في أمرها إلى ان تذكرت فجأة ان روب قال لها انه في امكانها أن تحضر صديقها معها، فأخذت تنظر مفكرة برسالة ريتشارد، ولِمَ لا تدعوه ليرافقها؟ فشخص زائد على الحفلة لن يغير شيئاً، وكان روب قد قال: «انه من الحكمة ان نحضر طعاماً زائداً لثمانية اشخاص آخرين. إذاً سوف تدعو ريتشارد وسيكون الأمر مريحاً لها أكثر وهي برفقة صديق لها.

قابلته ذلك المساء وشرحت له موقفها، ولبى دعوتها بسعادة قائلاً: «تسعدني دعوة خاصة كهذه بعد عمل شاق ودقيق في الابحاث التي اقوم بها، هيا الآن لنذهب بسيارتي.»

كان روب يبدو مختلفاً عن الأيام العادية وكيف لا وهو يحتفل بخطوبته من هيزر. وكان يرتدي بذلة بيضاء اللون مع ربطة عنق حمراء، فهتفت له ميريل قائلة: «يا سلام، انك في غاية الاناقة.»

أجابها روب بسرور: «ألم أقل لك انها مناسبة خاصة... تعالي الآن لأعرفك بهيزر، فهي في غرفة الطعام.»

قال ريتشارد لها بصوت منخفض: «يا له من منزل فخم!»

شرحت ميريل له بسرعة وقد اقتربت منهما هيزر: «انه ليس منزله بل لشقيقه من والده، أي لرب عملي.»

قالت هيزر لميريل بعد ان قدمهما روب لبعضهما البعض: «لقد قمت بعمل رائع، وعلى أحسن ما يرام، لم أكن أعرف شيئاً من أمر هذه الحفلة، إلى ان اطلعني عليها روب مساء هذا اليوم.»

تأملت ميريل وجهها المفعم بالحيوية وبقامتها النحيلة ثم أسرعت تقول لها: «لكنها كانت فكرة روب في الأساس ولم أقم سوى ببعض الاتصالات الهاتفية لتأمين كل ذلك.»

«لقد حدثني روب عن لطفك كثيراً، ويسعدني جداً حضورك، تعالي الآن لأرشدك على غرفة الزينة...» ثم نظرت إلى ريتشارد قائلة: «اعذرنا، ويمكنك ان تتناول مشروباً منعشاً في هذه الاثناء.»

في غرفة الزينة، تأملت ميريل نفسها في المرآة مفكرة

في ما إذا كان ثوبها الأسود الذي اختارت ان ترتديه لهذه المناسبة رسمياً أكثر من اللزوم، لكنها سرعان ما ابتعدت عن تلك الفكرة وخرجت من الغرفة لتلاحظ ان الباب الخارجي قد فتح ودخل منه راي وهو في غاية التعب والارهاق وشعرت فجأة بعطف كبير نحوه، فالذي يحتاج إليه الآن ليلة هادئة تنسيه عناء العمل.

وقع نظره عليها وقد وصلت إلى اذنيه صوت الموسيقى فسألها مندهشاً: «مرحباً، يا ميريل هل استطيع ان... ان أعرف ماذا تفعلين في منزلي؟»

تلعثمت ميريل: «انني... أعني روب... اراد روب ان يقيم حفلة هنا و...»

«أهذا صحيح؟» قطب راي جبينه وقال بحدة: «تساءلت عما يدور هنا عندما دخلت بسيارتي ووجدت ان سيارة حمراء كبيرة تقف مانعة عليّ الدخول إلى الكاراج.»

«آه، يا إلهي... انها سيارة صديقي... لم أفكر... فطلبت منه ان يوقفها هناك لأنني كنت متحمسة لكي ارى ان كانت التدابير اللازمة للحفلة قد...»

قاطعها راي غاضباً: «افهم انه لك يد في هذه الحفلة؟»

تقدمت ميريل منه بينما وضع حقيبة يده على كرسي قريب وقالت له: «أرجوك لا تغضب، ودعني اشرح لك، لقد أراد روب ان تكون الحفلة مفاجأة لك ولوالدته و...»

قال راي ببرود: «إذاً، فأنا لن اخيب آماله، لكنني اعجب جداً للذي يدور في منزلي.»

«اراد ان يقيم حفلة خطوبته لتكون في نفس الوقت ترحيباً بعودة والدته من السفر وايضاً من أجل...»

كان يراقبها دون ان يرمش له جفن، فعندما توقفت عن كلامها قال لها: «هيا اكملي ومن أجل ماذا ايضاً؟»

«يريد ان يشكرك من أجل... آه، لا أعرف، يمكنك ان تسأله بنفسك فهذه حفلته هو. وقد فهمت منه بأنك ستسعد لمفاجأة من هذا النوع.» واحست ميريل بالندم لأنها لم تحاول ان تثني روب عن حفلته المفاجئة هذه، ولكن الآن فات الأوان على الندم.

أسرعت تقول له: «اسمع، لِمَ لا تأخذ حماماً دافئاً يبدل من مزاجك قبل ان يصل المدعوون؟»

ضحك بصورة مفاجئة وقال: «تعنين، وكما فعلت أنت في غانت، حيث آنا اقترحت عليك وقتها بذلك.»

«لقد افادني جداً ذلك الحمام الدافىء.»

«حسناً، أرى انني لست أملك خياراتي هذه الليلة، وقد جئت لاجد شقيقي احتل منزلي ليقيم فيه حفلة، بينما أنت تقترحين عليّ ان استحم.»

«نوايانا طيبة.» قالت نلك ثم ابتعدت بينما كان ينزع عنه معطفه وعادت إليه بعد لحظات لتناوله شراباً منعشاً.

قال لها وهو يتأمل وجهها: «شكراً لك. تبدين رائعة الجمال هذه الليلة.»

قالت ميريل: «صحيح؟ آه، الأفضل لي ان أقول لصديقي ان يبعد سيارته من ذلك المكان.»

قال راي بهدوء: «آه، نعم، صديقك...» ثم ابتعد عنها متجهاً إلى غرفته بينما دخلت ميريل صالة الحفلة لتبحث عن ريتشارد.

عندما وجدت ريتشارد شرحت سبب غيابها عنه قائلة:

«آسفة، لقد وصل راي تعباً ولم يكن راضياً عن هذه الحفلة فحاولت ان اهدىء من نفسه. وكان أول ما ازعجه، عندما رأى سيارتك تسد عليه طريق الوصول إلى الكاراج.»

«آه، آسف... سأذهب لأنقلها من مكانها في الحال.»

توافد اصدقاء روب واحداً تلو الآخر وازدحمت الصالة بهم واستعادت ميريل في تلك الاثناء هدوء اعصابها بعدما حصل لها مع راي. وعندما عاد ريتشارد قالت له: «يبدو لي انه منذ فترة طويلة لم احضر حفلة كهذه.»

قال ريتشارد مبتسماً: «اذاً، يجب ان تستمتعي بها جيداً خاصة وانك قمت بكافة الاستعدادات لها. لكنك من المؤكد لن تمضي وقتك في المطبخ من أجل أمور أخرى!»

ضحكت ميريل قائلة: «طبعاً، كما انني أكيدة من ذلك.» ثم رأت روب يقترب منها وإلى جانبه سيدة شقراء أنيقة.

قال لها روب: «اقدم لك والدتي.»

صححت السيدة كلامه قائلة: «بل ستيلا، إذاً، أنت ميريل... لقد كلمني راي عنك كثيراً. واظنه يصفك بقوله بالمرأة التي لا تعوض.»

أجابت ميريل باتزان: «انه قول مبالغ فيه.» ثم فكرت متألمة بأنه يجب ان يفكر ببديلة عنها في القريب العاجل.

ضحك روب قائلاً: «لا تكوني بهذا التواضع يا ميريل. لا ادري ما الذي اخره حتى الآن.» ثم التفت نحو هيزر التي اقتربت لتنضم إليهم.

لاحظت ميريل على وجه ستيلا بعض التجاعيد الخفيفة حول فمها وعينيها، لكنها رغم ذلك، كانت رائعة الجمال وقد لفتت نظر ريتشارد الذي أمسك بيدها ليبتعد بها عن الجميع.

عند ذلك قالت ميريل بهدوء: «بالمناسبة، يا روب، ان راي هنا، لكنه مرهق وفضل ان يستحم اولاً وقد التقيت به منذ بعض الوقت.» وتوقفت عن كلامها عندما رأت راي قادماً نحوهم.

قاطعها روب: «ها قد أقبل الذي جئنا على ذكره.» لاحظت ميريل من ان نبرة صوته متوترة مما أكدت لها انه لم يكن في الحقيقة واثقاً من ردة فعل راي من أمر هذه الحفلة.

قال راي بلطف عندما اقترب منهم: «اعتقد انني المقصود بهذا القول. على أية حال، سيكون لك حديث معي بعد ذلك، يا روب.» ثم حول نظره إلى ميريل بينما جذبت هيزر روب من ذراعه ليرحبا ببعض الاصدقاء الذين وصلوا.

بعد لحظة صمت شديدة الوطأة قال راي بلطف: «ارى انك احضرت صديقك البلجيكي، لقد رأيته مع ستيلا في غرفة الطعام... تباً لك، لقد جعلته يقطع كل تلك المسافة من بلده إلى هنا خصيصاً ليراك.»

نظرت ميريل ببراءة وكمن اتهم بعمل لا علاقة له به، ولكنها قررت ان لا تصحح معلوماته، ذلك لأنها تسعد لرؤية راي ولو لمرة، بألا يكون دقيقاً بالذي يتباهى بمعرفته، لكن شيئاً واحداً لم تفهمه فسألته: «كيف استطعت التعرف إليه؟»

أجابها ببرود: «لقد شعرت ببعض المسؤولية تجاهك في بروجز. وقد انتظرت عودتك في الليلة التي خرجت فيها معه، فأنت في بلد غريب...»

قاطعته ميريل قائلة: «شكراً لاهتمامك، لكنني استطيع الانتباه لنفسي أكثر مما تتصور.»

قال راي مستخفاً بها: «آه، لقد ادركت ذلك الآن، كما انني

لا...» توقف عن كلامه وقد رأى ريتشارد مقبلاً نحوهما.

هتفت ميريل بينما كانت في داخلها تشعر بجرح عميق من كلام راي لها: «آه، ريتشارد، اقدم لك راي ترافس، رب عملي... راي... اقدم لك ريتشارد ستيرلينغ.»

مد ريتشارد يده ليصافح راي قائلاً: «كيف حالك؟» تراجعت ميريل قليلاً لتفسح المجال للتعارف بينهما وقد لاحظت دهشة راي من سماع لهجة ريتشارد التي تعود إلى هذه البلاد. لكنه أسرع يقول: «يظهر انكما التقيتما في بروجز.»

هز ريتشارد برأسه موافقاً ثم قال: «عن طريق الصدفة، طبعاً، اننا نعرف بعضنا من قبل.» توقف قليلاً لرؤية روب وهيزر ينضمان إليهم ثم تابع قائلاً: «لقد التقيت سابقاً بميريل في حفلة في هذه المنطقة وعند إليز ماسترز، اتساءل ان كنت تعرفها، فهي فنانة موهوبة.»

قاطعه راي قائلاً: «لقد كانت إحدى زبائننا.» ولاحظت ميريل تغيراً في قسمات وجهه لذكر إليز بينما كان يتحول إلى هيزر قائلاً: «آه، هيزر، هل استلمت هديتي إليك؟»

ابتسمت هيزر له ورفعت بجعة من البورسلان وهي تشرح قائلة: «يعلم راي انني اهوى جمع البجع من البورسلان، وكان قد ترك لي هذه الهدية عند المدخل وعليها ورقة مدون اسمي عليها. اقول احياناً لنفسي، ان احدى اهم الأسباب التي تجعلني اوافق على زواجي من روب، انني سأحظى بشقيق حقيقي.»

ابتسم راي قائلاً: لا اصدق كلمة مما تقولين. والآن، ما رأيك لو تعرفينني بأصدقائكما الذين يتمتعون بوقتهم وبحرية في منزلي؟»

بعد ان ذهب الثلاثة قال ريتشارد: «إذاً، هذا هو رب عملك، انه رجل ممتاز.»

أجابت ميريل وهي مازالت مستاءة من ردة فعل راي لذكر اسم إليز: «فعلاً انه كذلك... تعال نجلس في مكان ما.»

«عظيم. فأنت ممن يحبون الرقص، لذا ارجو ان لا أكون قد افسدت عليك السهرة.»

ابتسمت ميريل قائلة: «لا، ابداً.» ان قول راي بأن إليز لم تكن سوى زبونة ليس أكثر، جعلها تشتعل غضباً في داخلها، مع انها كانت تشعر بانجذاب نحوه في نفس الوقت. هذا الانجذاب جعلها ترتعش وتتمنى لو انها كانت تمضي السهرة مع ريتشارد في مكان آخر غير منزل راي الذي اصبح يشغل فكرها وقلبها. وعادت لتؤكد على ريتشارد: «صدقني، لا يهمني ان رقصت ام لم ارقص، وان كنت تفضل لو اننا نغادر هذا المكان، فلا مانع عندي.»

ضحك ريتشارد قائلاً: على أية حال، انها حفلتك أيضاً، لذا سنبقى فيها ونتمتع بوقتنا. سأحضر لك شراباً منعشاً.»

«شكراً لك، انني افضل عصير البرتقال لو سمحت.»

عندما ابتعد ريتشارد، أخذت ميريل تراقب الضيوف، كانت ستيلا تتحدث بمرح مع رجل خط الشيب شعر رأسه. وكان روب وهيزر وسط مجموعة من اصدقائهما. فجأة وبينما كانت ترى كل ذلك، وجدت ان راي يقف إلى جانبها وادركت انه كان يراقبها طوال الوقت.

جلس إلى جانبها قائلاً: «اعتقد انك تتمتعين بكل ذلك.»

التفتت نحوه قائلة بارتباك: «آسفة، ماذا تقصد؟»

«آه، لا تتظاهري بأنك لم تفهمي قصدي... لقد سررت

بدهشتي لرؤية ريتشارد... ولقد خدعتني عندما جعلتني اعتقد بأنك تعرفت على رجل بلجيكي.»

رفعت ميريل رأسها بتعال قائلة: «لا اعتقد ان ما قد تكون جنسيته أمر يعنيك.»

انذرها بلطف وقال: «لا تراوغي عليّ الآن، انك تعرفين ما اعني.»

اجابته ميريل: «هذا خطأ منك، ان كنت قد اسأت التقدير عندما كنا في بروجز، فأنا لست مضطرة لأن اعطيك أية معلومات عني.»

كان صوتها هادئاً ومقنعاً على عكس ما كانت تشعر به في داخلها لجلوسه قربها وأخذت تتمنى لو ان ريتشارد يعود سريعاً.

أجاب راي بسطحية: «هذا صحيح، إنما اعتقدت ان كبرياءك يفرض عليك ان تصححي خطأي هذا.»

«آه، تتكلم عن الكبرياء... علي أية حال، لا أرى فائدة من ذلك، خاصة بالذي تعتقده دوماً بي. وهل كنت ستصدقني لو قلت لك انني التقيت صدفة بشخص عرفته سابقاً، أمام المتحف في بروجز؟»

أجاب راي متأملاً: «ربما كنت صدقتك.»

نظرت ميريل إليه قائلة: «يا لصدرك الرحب. وماذا عساي ان افعل الآن؟ اتوسل إليك ان تتوقف عن اساءة الظن بي؟ وارجو منك ان تصدق بأنني امرأة لي مبادئي واخلاقي؟ وبأنني لست امرأة تلقي بنفسها على أي رجل كان، كما تهيأ لك بالنسبة لي مع روب؟»

أجابها راي مهدئاً: «اهدئي الآن... هل تلومينني على ما

ظننته بك بعد ما دفعتني أنت إلى ذلك بتعمد منك؟ اما بالنسبة...» توقف عن الكلام وقد رأى ريتشارد يقترب منهما.

وقف راي قائلاً: «كنت اطلب من ميريل ان تراقصني، هذا ان كان لا مانع عندك، يا ريتشارد؟»

ابتسم ريتشارد قائلاً: «لا، أبداً.»

لم يكن بوسع ميريل سوى الموافقة على ما قاله راي. وجذبها من ذراعها إلى قاعة الرقص.

بينما كانا يرقصان قال لها راي: «لِمَ لا تهدأين؟ انها ليست سوى رقصة.»

«ما الذي يجعلك تعتقد بأنني لست هادئة؟»

قالت ذلك بينما كانت دقات قلبها تتسارع في صدرها.

نظر إلى وجهها قائلاً: «يمكنني ان اشعر بما تعانين منه في داخلك.»

علقت ميريل قائلة: «يا لك من رجل حاد الذكاء.»

«لا اسمي هذا حدة ذكاء، بل وعي وادراك مني. حسناً، اعترف بأنني كنت مخطئاً بأمر ريتشارد، لكن هل تلومينني على ذلك؟ وقد كنت قد اطلعتني على حياتك الاجتماعية الحافلة بالمواعيد... على فكرة، لماذا حضرت هذه الحفلة؟»

«ذلك لأن روب دعاني لأتعرف إلى هيزر.» قالت ذلك ولم تكن متأكدة ان كان سيصدقها ام لا.

«هل احببت هيزر؟»

شعرت ميريل بالارتياح من تغيير دفة الحديث وقالت: «آه، طبعاً، واعتقد انها فتاة رائعة، وتبدو وروب في غاية السعادة والهناء.»

«انهما فعلاً كذلك. لذا اطلب منك خدمة يا ميريل، ان لا تفسدي تلك السعادة.»

أجابت ميريل متعمدة الضجر في كلامها: «اتذكر اننا سبق وتكلمنا في هذا الموضوع في منزلي.»

«نعم، لكنني ارغب ان اوضح الأمر أكثر لك... لما لا تحاولي معي أنا، فأنا جاهز وفي أي وقت تريدينه.»

«صحيح؟ الأن طبيعتك تتلاءم بالذي كنت تعتقده بي؟»

كادت ميريل ان تسأله عن مدى صداقته بإليز، فكرت ثانية بمذكراتها والتي رمزت إليه بحرف ر. لكنها تراجعت سريعاً عن عزمها وقد ادركت ان حفلة روب ليست بالوقت المناسب لذلك.

قال راي قاطعاً عليها حبل افكارها: «بما انك سعيدة لسعادة روب وهيزر، ما رأيك لو نرمي احقادنا جانباً ونبدأ من جديد ونخرج من هذا المكان دون ان يشعر أحد بنا؟»

همست ميريل: «لا، لا يمكننا ذلك، انها حفلة روب.»

«انني متأكد بأنه لن يمانع.»

الحت قائلة: «لكن، ربما قد يمانع ريتشارد في ذلك.»

اكفهر وجه راي ثم قال بنبرة هادئة: «غداً، إذاً؟»

نظرت بحنق إليه وقالت: «لا! كما انني سأكون مشغولة يوم غد.» توقف عزف الموسيقى في تلك الاثناء، فابتعدت عنه قائلة: «اعتقد ان هذا ينهي كل كلام ما بيننا.»

وافقها قائلاً: «نعم، وشكراً لك. لقد ادركت انه لا يجب ان استمر في التفريق بينك وبين ريتشارد بعد اليوم... يجب ان أجد روب ليلقي كلمة على الحضور.»

وانحنى لها باحترام ثم ابتعد عنها، بينما ميريل توجهت

ببطء نحو غرفة الزينة وهي تشعر بدوران شديد في رأسها وانها بحاجة إلى البكاء والنحيب وقد اتضح لها أمر واحد انها تريده وتريد ان تحبه حتى آخر رمق من حياتها.

نظرت إلى نفسها في المرآة وهالها ما رأته في وجهها من شحوب بينما كانت عيناها قد اغرورقتا بدموع ساخنة.

انتهت الحفلة بأحاديث عذبة ومرح إلى ان ودعها روب بقبلة على خدها وشكرها على ما قدمته من مساعدة له، ثم غادرت المكان مع ريتشارد.

قال ريتشارد لها بينما كان يقود سيارته: «هل تحبين راي؟»

ضحكت ميريل قائلة: «تباً! من أين جاءتك هذه الفكرة؟ طبعاً أنا لا احبه! بل على العكس فانا اكرهه.»

سألها ريتشارد: «لماذا تعملين معه إذاً؟»

فكرت ميريل للحظة وجيزة لو انها تطلعه على السبب الرئيسي الذي اجبرها على العمل مع راي، فهي بحاجة لأن تبوح بمكنونات قلبها لأحد ما وان تستفيد من وجهة نظره، خاصة وان ريتشارد كان يعرف إليز، لكن الأمر بدا لها معقداً، فقالت له اخيراً: «آه، ذلك لأنني عندما وافقت على الوظيفة، لم ادرك بأنني قد اكرهه في يوم من الأيام، لكنني لن استمر معه طويلاً.»

وافق ريتشارد على دعوتها إلى فنجان من القهوة عندما وصلا إلى منزلها، لكنه لم يبق طويلاً وخرج تاركاً ميريل تشكر حظها على ان هذا المساء انتهى بطريقة أو بأخرى.

لكن ريتشارد عاد إليها ليقول: «ان محرك سيارتي لا يدور. هل يمكنني الاتصال بالفندق ليؤمنوا لي سيارة

اجرة؟ كما انه يجب ان يتم اصلاحها قبل العاشرة من يوم غد لأنني مضطر إلى العودة إلى لندن.»

«يا له من حظ عاثر. نعم، يمكنك استعمال هاتفي.» ثم وكأنما تذكرت شيئاً مهماً قالت له: «لما لا تستعمل سيارتي، فالوقت متأخر الآن، وسيكون الأمر اسرع لك من ان تنتظر سيارة أجرة. ويمكنك ارجاعها صباحاً عندما تعود لتأخذ سيارتك.»

«فكرة رائعة!» وأخذ ريتشارد مفاتيح السيارة منها.

ابتسمت ميريل قائلة: «هذا أقل ما يمكن ان أقوم به تجاهك وبالأخص انك وافقت على مرافقتي إلى تلك الحفلة بكل سرور وقبول.»

دخلت غرفتها بعد ذلك ومدت يدها إلى اذنها لتنزع قرط الحلق الفضي واكتشفت بأنها اضاعته، حزنت لذلك. فالقرطان كانا لوالدتها سابقاً. صحيح انهما غير ثمينين وذات قيمة مادية انما كانا عزيزين عليها.

خلعت ميريل ثوبها ونفضته لئلا يكون القرط في داخله. ثم جاءتها فكرة اراحتها نوعاً ما، ربما سقط خطأ في سيارتها عندما رافقت ريتشارد إليها وفتحتها له لتدله على بعض الارشادات لتشغيل السيارة. وبلا شك انها ستجده في سيارتها عندما يعيدها إليها ريتشارد صباح اليوم التالي.

الفصل الثامن

تأخرت ميريل في النوم صباح الأحد وعندما استيقظت كان اهتمامها الأول حول ريتشارد. نظرت إلى الخارج من نافذتها فرأت سيارته ما زالت متوقفة في مكانها. لكن في الوقت الذي استحمت فيه وتناولت فطور الصباح، وجدت ان الميكانيكي منهمك في اصلاح سيارة ريتشارد، وبعد مضي نصف ساعة سمعت طرقاً على باب منزلها.

توجهت إلى الباب وفتحته، فرأت ريتشارد أمامها، وفي الوقت نفسه لاحظت أيضاً ظرفاً على الأرض بخط راي. أحست بقشعريرة باردة تسري في عروقها، ثم انحنت والتقطته ببطء، وتحسست باصابع يدها القرط الذي اضاعته.

هذا يعني ان راي قد لحق بها ليلاً وعندما وجد سيارة ريتشارد تقف في الخارج وضع الظرف وعاد ادراجه. وألمها ما قد يكون ظن بها، خصوصاً وانها قالت له في السهرة بأنها ستنشغل هذا اليوم ومن المؤكد انه اعتقد بأنها ستمضي نهارها مع ريتشارد.

كان ريتشارد ما زال يقف عند الباب وتمنت ان لا يدعو نفسه إلى فنجان من القهوة، لأنها لم تكن في حالة تمكنها من استقبال أحد، فأخذت منه مفاتيح سيارتها وتمنت له رحلة موفقة ثم اقفلت الباب وراءه.

يظهر ان الاقدار تريد معاكستها فأثبتت لراي كل شكوكه

حولها، لكن ما الذي تستطيع ان تفعله حيال ذلك؟ عدا عن أن تعطيه تفسيراً واضحاً لوجود سيارة ريتشارد أمام منزلها، لكن وحتى ان كان ذلك يهمه، فهو حتماً لن يصدق روايتها.

لكن الكآبة والانطواء على النفس اللذين رسمتهما لها الأقدار لن تجدياها نفعاً. فالطقس رائع والخروج من المنزل والابحار بالمركب الشراعي الذي اشترته مؤخراً، سيساعدانها في التركيز أكثر وهي بعيدة عنه. فإذا التقت براي عن طريق الصدفة ستعرف كيف تتجنبه وتبتعد عنه.

لكنها لم تلتق به هناك ومارست هوايتها المفضلة بقلب حزين. ولما عادت في المساء كان رأسها يفكر بشيء واحد، وهو انها لن تستطيع ان تهرب منه أكثر وستلتقي به غداً في المكتب.

كالعادة، وجدته هذا اليوم قد وصل إلى المكتب قبلها، وكالعادة ايضاً، شعرت بفرح يغمر قلبها لدى رؤيته. لم يذكر شيئاً بخصوص الحفلة ولا بخصوص قرط الأذن، لذا توقفت عن الطبع على الآلة الكاتبة ودخلت إلى غرفته.

رفع نظره إليها بوجه عابس وقال: «نعم؟»

أريد أن أشكرك لاعادة قرط الاذن اليّ، انني لم أنتبه بأنني اضعته في الحفلة.»

أجابها ببرود شديد: «لم يكن هناك من مشكلة. لقد وجده أحد الضيوف وعرفت ستيلا بأنه يخصك.»

قالت ميريل وقد أصرت ان توصل شكرها اليه فقط: «على أية حال، كان لطف منك أن تعيده إليّ بهذه السرعة، فالقرطان كانا لوالدتي، لذا أحافظ عليهما كثيراً، وكان من الطبيعي ان احزن لفقدان أحدهما و...»

قاطعها راي بنفاد صبر قائلاً: «كما سبق وقلت لك، ما من مشكلة في ذلك، وكنت مضطراً ان أجيء إلى المنطقة التي تسكنين فيها، فجلبت القرط معي، هذا بالاضافة انه أقل عمل ممكن أقدمه لك إذا أخذنا بعين الاعتبار ما قدمته لاجل حفلة روب. والآن، لنتوقف عن الكلام بما ورثته من والدتك، لأنني أريد مراجعة بعض الحسابات معك.»

تورد خدا ميريل خجلاً وتساءلت في نفسها، هل انه مضطر لأن يكون بهذه الفظاظة معها؟

تابع راي قائلاً وهو يرسم ابتسامة باردة: «كما انه هناك الكثير من الاعمال لهذا اليوم، كما أعتقد ان الملفات بحاجة إلى تنقيح أكثر من ذلك، ولا أدري لماذا لا تتبعين طريقة عمل أليسون.»

أجابت ميريل وقد تعجبت من انتقاده لعملها ولأول مرة منذ ان التحقت بالشركة: «ذلك انني كنت منهمكة بأمور أكبر ولم يتسنَّ لي العمل عليها.»

قال بتهكم: «يبدو أن الوقت لن يسمح لك أبداً أن تعملي عليها. في الوقت الحاضر لو انه يمكنك العمل على لائحة لأهم نجاحات الشركة و...»

أسرعت تقول ميريل بسرعة: «لقد قمت بذلك في الأسبوع الثاني من استلام عملي في هذه الشركة، ليست مرتبة كما يجب لأنني قمت بها باسلوبي الخاص، ومع ذلك تعطيك المعلومات التي ترغبها...»

قاطعها راي قائلاً: «حسناً، حسناً. هل انبأتك حاستك السادسة انني قد أطلب ذلك منك؟ في الحقيقة لا أعرف ماذا أفعل من دونك.»

كان الجو في الغرفة بارداً وقاتلاً مثله تماماً، فشعرت انه لا يمكنها الصمود أكثر من ذلك. قالت بصوت عالٍ: «عليك ان تعرف سريعاً ما قد تفعل من دوني.» لقد قررت ان تعلن استقالتها عن العمل سريعاً، مع انها لم تجد بعد عملاً بديلاً عن هذا. لكن تصرف راي معها هذا الصباح، سبب لها الما وجرحاً عميقين ولم يعد بامكانها ان تحتمل أكثر من ذلك.

لقد أصبحت النهاية التي خططت لها في متناول يدها الآن، لكنها نهاية مريرة وقاسية وعليها ان تتخطى هذه المحنة بقوة وشجاعة لتستطيع الاستمرار في حياتها.

علا صوت راي غاضباً وهو يقول: «أعرف ماذا؟ سمعتك تقولين نذيراً للشؤم... تباً لك، ماذا تعنين بقولك؟»

أجابت ميريل بحدة: «الم اكن واضحة... اعني، وببساطة، انني مصممة على البحث عن عمل جديد.»

وقف راي فجأة وهو يرتجف من الغضب الشديد قائلاً: «أكون وقحاً ان سألتك عن السبب؟ أمن أجل المال؟» ثم توجه إلى آلة القهوة.

قالت ميريل وقد أحست بالحرية والانعتاق منه: «لا، ليس من أجل المال.»

قال والغضب ما زال مسيطراً عليه: «إذن، لماذا؟ لقد حققت لغاية الآن نجاحاً باهراً، لذا اعتقد بأن ذلك يبهجك ويفرحك، فلا تقولي الآن انك لم تعودي ترغبينه.»

أجابت ميريل بغموض: «العمل؟ آه، أحب عملي هنا.» كان راي في تلك الاثناء يقف أمام آلة القهوة ووجدت انه من الاسهل عليها أن تتكلم معه وهو يدير لها ظهره، لأنه يمنحها فرصة عدم رؤية قسمات وجهه القاسية، فتابعت

تقول: «هل من الضرورة ان أقول لك عن السبب الحقيقي لترك شركتك؟»

أجاب بسخرية: «طبعاً، من الضرورة ان تفعلي ذلك.»

«آه، حسناً، وما دمت ترغب بذلك... في الواقع اننا... اننا مثل الزيت والماء اللذين لا يمكن فصلهما عن بعض. وكما قلت لك أحب عملي، لكن في الحقيقة أجده مجهداً ومرهقاً.»

«إذن، هذا كل ما في الأمر. ففي هذه الحالة، لا يسعني ان أضيف شيئاً، وآسف لأنه لا يمكنك الاستمرار معنا، ويدهشني انه ولا أي واحدة من مساعداتي السابقات كانت قد اقترحت علي أن أغير منهاج عملي وأؤكد لك انني لن اغيره الآن، خاصة ان منهاجي هذا قد حقق لغاية الآن نجاحات لا تعد ولا تحصى في الشركة.»

ابتسمت ميريل بضعف قائلة: «محاضرة رنانة، لكنك قد تكون اسأت فهمي، فأنا وعلى العكس معجبة بمنهاج عملك، كما انني لا أطلب منك ان تغيره من أجلي. لكن الذي أحاول قوله وبما اننا نحقد على بعضنا ولا نثق ببعض، فمن المستحيل ان نستمر في نفس العمل وعلى أحد منا ان يقوم بالمبادرة الأولى وبالطبع يجب علي أنا أن أقوم بالمبادرة وأترك الشركة.»

أجاب راي مفكراً: «آه، فهمت.»

تابعت ميريل تقول بلطف: «والمطلوب مني الآن أن أعمل أربعة أسابيع كانذار للاستقالة، وأرغب أن يبدأ مفعولها منذ اليوم.»

قال وقد بذل جهده لتأتي نبرات صوته هادئة: «نعم، هذا هو شرط الاستقالة، لكني لن أجبرك على ذلك. ويمكنك ان تتركي في أي وقت تشائين.»

«لا، لن أخالف قوانين العمل. والآن سأحضر لك اللائحة التي تكلمنا بشأنها لندخل عليها بعض التعديلات.»

عندما عادت بها قال لها راي: «اتركيها معي ولنعمل الآن على الرسائل البريدية.»

فضّت ميريل الظرف الذي يحمل طابع بريد بلجيكي، وقرأت بسرعة ما جاء في الرسالة ثم ناولته لراي وقلبها ينبض بشدة.

أخذت تراقبه وهو يطالع ما في الرسالة وعندما انتهى منها، رفع بصره قائلاً: «أمر ممتع فعلاً، الا تعتقدين ذلك؟ لكن ارى من تعابير وجهك ان الأمر لم يفرحك بتاتاً. لا بل كنت تفضلين لو ان هذه الرسالة لم تصل قط.»

وضع الرسالة فوق طاولة مكتبه وقد تذكر الوعد الذي قامت به ميريل لآنا في مطعم غانت في بلجيكا، ثم وقف قائلاً: «لقد كنت قد وعدت بمرافقة آنا إلى غابة شيروود في المرة القادمة التي ستأتي فيها مع سام إلى بريطانيا. ربما ما كان عليك ان تكوني بهذا الكرم معها.»

تعمدت ميريل المرح قائلة: «من الطبيعي ان احافظ على وعدي معها، فما من مشكلة في ذلك.»

تابع راي كلامه وكأنها لم تقل شيئاً: «كما أن الذوق يفرض علينا ان نبادلهما كرمهما معنا وندعوهما إلى العشاء في مكان ما.»

وافقت ميريل على الفور: «طبعاً، لكنني لا أرى...»

قاطعها راي قائلاً: «انني ارى انه لا حاجة لي أن أعيد عليك القول ان السهرة قد تنجح أكثر وهي تضم اربعة اشخاص بدلاً من ثلاثة.»

قالت ميريل بحدة: «ماذا تحاول ان تقول؟ هل تعني بأنني سأكون مرافقتك لهذه السهرة؟»

أجاب بهدوء: «تماماً، ومدرك بأن هذا الأمر سيلغي مواعيدك مع... ما كان اسمه؟»

قالت ميريل بسرعة: «اسمه ريتشارد، انما لا، لن يلغي... في الواقع...» وكادت ان تشرح له حقيقة علاقتها بريتشارد، لكن راي قطع عليها كلامها.

«عظيم، ما من مشكلة إذاً. عدا واحدة، هل يمكنك ان تضعي حقدك وعدم ثقتك بي جانباً ليلة واحدة؟ انها الكلمات التي استعملتها بنفسك، على ما اعتقد؟ لكن يجب ان نظهر في أفضل حالاتنا في هذه المناسبة التي لم نكن نتوقعها.»

نظرت ميريل إليه وشعرت بأنه كان يستمتع بكل ذلك وقالت بلا مبالاة: «انني أكيدة من ان في امكانك ان تجد مرافقة أخرى غيري.»

قال موافقاً: «انني اكيد من ذلك، انما ما الذي يجبرني على ذلك؟ فسام وآنا يعرفانك ويحبانك في نفس الوقت. وسيطغى على السهرة روح العمل، لذا فان خبرتك ترشحك لأن تكوني أنت مرافقتي لا غيرك.»

شعرت ميريل بالهزيمة أمامه وأخذت تحدق بالرسائل التي بين يديها ثم قالت: «أفهم وجهة نظرك، خاصة بعد أن لمست كرم اخلاق سام وآنا معي، فلا أريد ان أظهر ناكرة الجميل معهما.»

ضحك راي فجأة بمرح، فنظرت إليه مستغربة وهي تقول: «هل قلت شيئاً يضحك؟»

«لا، ليس في الحقيقة، لكن يمكنك ان تعتبري ذلك ناجماً

عن روحي المرحة.» ثم تناول من جيب سترته دفتر ملاحظاته الصغير وقلب صفحاته ثم قال: «من فضلك، احجزي طاولة لنا ليلة السبت في مطعم تودور كوين في الساعة الثامنة، ويمكنك ان ترافقي آنا إلى غابة شروود يوم الأحد، فسام وأنا يمكننا أن نتدبر أمرنا.» وبعد ان أغلق دفتر ملاحظاته قال وقد تذكر امراً مهماً: «آه، اعتقد انه يجب ان تتصلي بسام في مكتبه وتبلغيه عن مشاريعي معه.»

كم من السهل ان يراوغ وينافق، فكرت ميريل بسأم وهي تشعر باضطراب شديد في داخلها من الكلام البارد الذي تبادلاه معاً، وبذلت جهداً لتركز على كلامه الهادىء والمنسق في العمل وهو الذي يمنحه دائماً كل اهتماماته. وشعرت فجأة بكآبة شديدة تغمر نفسها لدرجة انها لطخت الورقة التي كانت تدون عليها الكلام الذي يتفوه به، لكنها استطاعت ان تمسك نفسها أخيراً دون ان يلاحظ راي شيئاً.

عندما دخل روب إلى غرفتها في ذلك اليوم، كان راي قد خرج لموعد مهم. فقال روب ممازحاً: «هل الأجواء هادئة؟ أشعر احياناً بأن راي يمانع دخولي إلى غرفتك والتحدث معك، لكنني جئت لأقدم لك هذه.» وأظهر باقة جميلة من القرنفل والتي كان يخفيها وراء ظهره وتابع يقول: «انها لك وتقدير بسيط عن مدى شكري لك.»

مع ان الباقة لم تعط اية رائحة للقرنفل، فقد غطت وجهها بها لتخفي الدموع التي ترقرقت في عينيها، تباً. ماذا يحدث لها؟ لقد اصبحت سريعة التأثر وتريد البكاء. وقالت له: «انها رائعة، يا روب.» وابتعدت عنه كي لا يلاحظ ضعفها وكآبتها ثم اجبرت نفسها على القول: «لقد فرحت عندما قال لي راي

ان الحفلة كانت ناجحة جداً.» وتذكرت انه بالرغم من انه لم يمض على الحفلة سوى ست وثلاثين ساعة، لكنها كانت حافلة بالأحداث المؤلمة والمضنية.

«لم أعتقد ان راي كان في حالة تسمح له بأن يقول رأيه في الحفلة، وذلك من تعابير وجهه الباردة طوال السهرة. وقد دخل غرفته بعدما خرجت مباشرة، ويا ليتك بقيت أكثر فقد كانت السهرة ممتعة جداً.»

التفتت ميريل لتنظر اليه قائلة: «كنت... كنت أشعر بالتعب.» ووضعت باقة القرنفل على الطاولة ثم تابعت تقول: «روب... لقد قررت ان أترك الشركة، وأحببت أن أعلمك بذلك قبل ان تسمعه من غيري.»

قال ببطء: «لا أعتقد أن ذلك سيسعد راي.»

«آه، لقد علم بذلك... وقد اخبرته هذا الصباح.»

«لا بد وانه انزعج كثيراً من ذلك. كما انني آسف لقرارك هذا، فقد كنت اعتبرك مصدر قوة لهذه الشركة الناجحة. هل وجدت عملاً بديلاً؟»

هزت ميريل برأسها نافية وقالت: «انني حتى لم أحاول البحث عن عمل آخر.»

«هذا تقاعس منك، اعني، قد يطول بك الأمر قبل ان تعثري على عمل جديد ومناسب... كان لدي خال مثلك، ما ان ينجح بعمل ما حتى يتركه إلى عمل افضل...»

«آه، ليس الأمر كما تظن، لا بد وانك لاحظت بأنني وراي لا نتفق.»

أجابها روب: «آه، أعرف تماماً ان راي ينصرف بكليته إلى العمل وينتظر من الآخرين أن يحذوا حذوه. ذلك لأن

الشركة كانت في حالة فوضى شديدة عندما تسلم زمام أمورها بعد والدي، الذي كان مصمماً رائعاً ولكنه يفتقر إلى الحس العملي.»

تابع كلامه بينما نظرت اليه ميريل متعجبة: «ألم يخبرك راي بذلك؟ آه، ربما ظن انه قد يكون عديم الوفاء لوالدنا في ما لو اطلع أحد على صفاته، فراي طيب القلب، و... لكنني أعتقدت انه... اعني لقد دعاك مرة إلى العشاء وقد لا يقوم بذلك لو أن بينكما عداوة.»

قالت ميريل وهي تهز كتفيها بلا مبالاة: «آه، تعني تلك الليلة... اعتقد انه كان لراي أسباب لدعوته لي وأؤكد لك انها ليست بدافع الاعجاب بي.»

ابتسم لها روب قائلاً: «حسناً، وان كنت قررت أن تتركي الشركة، فلا تكوني مثل خالي، لأنه وصل به المطاف إلى نهاية سيئة. لكنك ما زلت مصممة على ان تحضري حفلة زفافي، أليس كذلك؟ وسيكون في يوم ما من شهر أيلول - سبتمبر، لكنني وهيزر لم نحدد بعد التاريخ... اتعدينني بأنك ستأتين؟»

أكدت له ميريل قائلة: «أعدك.» ومدت يدها لتصافح يده الممتدة مفكرة ان شهر ايلول - سبتمبر، ما زال بعيداً جداً.

كانت طاقة راي للعمل في الأيام اللاحقة لا حدود لها، ووجدت ميريل نفسها مجبرة على التركيز معه خطوة خطوة. وقد كان منهمكاً في المراجعة والتدقيق في أمور الشركة، ويجري اجتماعات لا نهاية لها ويصغي إلى الآراء الجديدة باهتمام وعزم، كما كان يمضي وقتاً طويلاً مع المحاسب مايك فريمان في الطابق الأول من مبنى الشركة.

كان التعامل بينه وبين ميريل يتم بصورة رسمية ومؤدبة. ففي صباح أحد الأيام وبينما كانت في غرفة مكتبه، دخل عليها مايك ليبحث معها بعض الأمور. في البداية، لم تبد أي اهتمام لما دار بينهما من حديث، لكنها عادت وابدت اهتماماً عندما تطرقا إلى الحديث عن البيئة، وعن مصادر الأخشاب من الغابات، واذا كان بالامكان ان يخصص معظم الانتاج لنوع جديد من التصاميم الرائعة.

كان راي يبدي اهتماماً بالغاً في الموضوع، مما جعل ميريل ورغماً عن ارادتها تنجذب وتتأثر بكلامه وتحترم وجهات نظره. كان في امكانها ان تحبه بقوة لو لم يكن هناك من اسباب تمنعها عن ذلك.

وقف مايك بعد فترة وقال: «عرفت بأنك ستتركين العمل، يا ميريل. شيء مؤسف فعلاً، فوجودك بيننا شكل فريق عمل ممتاز.»

تمتمت ميريل بكلمات شكر لمايك، ثم اصبحت بمفردها مع راي مرة أخرى.

عند ذلك قال راي فجأة: «غيري رأيك، وكوني عضواً في الأعمال الجديدة للشركة.» كان وجهه مبتسما وعيناه تشعان حيوية واشراقاً على عكس ما كان عليه في الأيام السابقة.

ووجدت ميريل نفسها تتجاوب معه، فأشرق وجهها هي الأخرى وانفرجت شفتاها عن ابتسامة واسعة. وعندما مرت من جانبه لتعيد الملفات إلى مكانها، كانت في حالة تردد فأسرع يمسك بيدها قائلاً لها بهدوء: «انني أعني ما أقول... لا تتركي الشركة، يا ميريل.»

شعرت باختلاجات في اعماقها من لمسته لها، لكنها سحبت يدها بلطف وقالت بتصميم: «يجب ان أترك الشركة.»

«أبسبب تلك المناقشة التي لا علاقة لها ولا بشكل من الاشكال مع العمل هنا؟»

«لا، ليس من هذه فقط...»

«لماذا، إذاً؟ هل هناك من سبب آخر؟» وعندما هزت برأسها موافقة تابع يسألها: «لماذا إذاً، لِمَ لا تطلعيني عليه؟»

تنهدت ميريل وقد عادت تشعر بجو الألفة والمودة، وقالت: «ربما سأطلعك عليه في يوم من الأيام لكن ليس الآن. وكما قلت لك سابقاً، العمل معاً صعب وقد نعود للمناقشة و...»

قاطعها قائلاً بهدوء: «كم أنا غبي، طبعاً ان الحال لن يهدأ بيننا طالما لا أحد منا يلطف الأجواء. وقد كنت في بعض الأحيان انغمس بعملي بقوة دون أن أمنح راحة لنفسي أو لغيري. والآن، وبما انك رتبت الملفات كلها، ساكون مستعداً للعمل في المشروع الجديد ببرنامج عمل كامل ودقيق، وسيكون كل ذلك في الأيام التي تكوني قد غادرت فيها الشركة... أريد أن يكون كل شيء منظماً حتى تاريخنا هذا.»

أجابت ميريل بحيوية: «طبعاً، سيكون كل شيء جاهزاً وعند حسن ظنك. وسيكون بانتظارك اعمال متواصلة لن ترحمك.»

طأطأ برأسه موافقاً: «نعم، هذا ما انتظره فعلاً.»

مع اقتراب عطلة نهاية الأسبوع، كان الخوف مما قد

ينتظرها من سهرة ليلة السبت يزداد أكثر في نفسها. صحيح انها مشتاقة لآنا لتمضي معها نهار الأحد في غابة شيروود، لكن شعورها من عدم الارتياح يعود لما قد يحدث لها ليلة السبت وكيف ستتصرف بعواطفها مع راي الذي كان ما يزال مشكلة بالنسبة لها.

فكرت ميريل بالأمور المشحونة بالعواصف والتي أصبحت تحدث بينها وبين راي، بينما كانت ترتدي ملابسها استعداداً لسهرة السبت التي لا يمكن التنبؤ بشيء منها لوجوده فيها. وتمنت لو أنه كان ثقيل الظل، ولا يتمتع بروح مرحة ولو لم يكن حتى جذاباً... لكنه كان على عكس كل ذلك تماماً، وهذا ما كان يزيد في قلقها وحيرتها.

فكرت بينما كانت تضع المساحيق التجميلية على وجهها، لو انها قالت له بأنها مرتبطة بموعد يصعب عليها الغائه، لكن ومن ناحية أخرى، فكرت انها ايام قليلة تلك التي تفصلها عن تركها النهائي للشركة، حيث لن يكون بقدرة راي بعد ذلك التدخل بنظام حياتها الخاص. وفي اليوم الذي ستظهر له فيه مذكرات إليز، من المؤكد انه سينهار مثل قصر من الرمال. توقفت فجأة بتفكيرها عند هذا الحد، لأنه كان من الصعب تصور راي منهزماً ومدمراً.

رنّ جرس الباب مرتين ليخلصها من افكارها المقلقة والمترددة. حملت حقيبة يدها ونظرت نظرة أخيرة إلى هندامها في المرآة لتتأكد من ان الألم الذي في داخلها لم ينعكس بعد على ملامح وجهها.

علق راي باعجاب: «تبدين رائعة الجمال، ولا داعي لأن أنكرك بأنني أريد منك الانسجام التام والصدر الرحب في

هذه السهرة، لأنني آمل ان أقوم مع سام بعدة مشاريع بعد ان أنتهي من التحضير للبرنامج الجديد.»

«الا تعتقد انك تبالغ في طلباتك مني؟» سألته ميريل عندما اصبحا في سيارته وهي تفكر لو انه لم يكن بهذا السحر والجاذبية.

«لا أبداً. فبعض الملاحظات أمر لا بد منه، وقد يضيف للشركة نجاحاً فوق نجاح. إذاً، هل اتفقنا؟» ونظر إليها قبل ان ينطلق بالسيارة، نظرة جعلت الدم يجري حاراً في عروقها.

هزت برأسها موافقة وكتمت تنهيدة كادت ان تفلت منها.

في البداية لم ينطق راي بكلمة واحدة، لكن وعندما اصبحا خارج حدود البلدة، بدأ يحدثها عن ستيلا ورحلتها الأخيرة الممتعة، وبأن هيزر التحقت بدروس تعلم فن الطبخ بينما روب يبحث عن منزل يليق بهما.

لاحظت ميريل من الطريقة التي تحدث بها، بأنه يريد أن يهدم الحائط الذي بناه بينهما، وان يشعرها بالراحة والاطمئنان إلى جانبه وكأنه يريد من السهرة ان يكون لها بداية طيبة، وكعادته كان محدثاً لبقاً وناجحاً، حتى انها كانت مسترسلة بالضحك وهما يدخلان إلى صالة مطعم تودور كوين حيث كان سام وآنا في انتظارهما. وكانت السهرة منذ بدايتها تحمل الروح المرحة والمزاج الطيب وبدا على الجميع الانسجام التام. وذهبت عند ذلك كل مخاوف ميريل التي كانت تشعر بها من هذه السهرة، وتذكرت انها ستكون آخر مناسبة تجمعها مع راي، فلِمَ لا تتمتع قدر المستطاع في الاجواء المتوفرة لها؟

رفعت بصرها إلى راي لتجده ينظر إليها بمودة ثم اشار لها برأسه وكأنه يشكرها لتصرفها اللبق والشيق في هذه السهرة. فابتسمت له ولأسباب تجهلها تورد خداها بحمرة الخجل.

«من يقول اننا قطعنا كل تلك المسافات من أجل عشاء عظيم؟» قال سام ذلك وقد توجهوا جميعاً لتناول القهوة في صالة أخرى.

نظرت ميريل بتعجب اليه قائلة: «هل جئت فقط من أجل تناول هذه الوجبة؟ ألم تأتِ بدافع التعامل مع شركتنا؟»

«آه، من دون شك.» ضحك سام وهو ينظر إلى وجهها المفعم بالحيوية والنشاط ثم تابع قائلاً: «بالمناسبة، أود الانضمام اليكما أيتها الفتاتين في غابة شيروود غداً، لأنني أحذر مَن أن تضيع آنا في تلك الغابة الموحشة.»

تدخل راي يقول مبتسماً: «لا، ابداً. فغداً أنت وأنا سنناقش بعض الأعمال العالقة.»

تدخلت آنا أيضاً ممازحة: «ان الرياضة الوحيدة التي يقوم بها سام هي ان ينتقل من كرسي إلى أخرى لملاحقة أعماله.»

كان من الواضح ان آنا لا تقلق ابداً على زوجها من التعرف إلى نساء أخريات، انها ثقة تكتب للحب البقاء والأمان، فكرت ميريل بينما كانت تحرك فنجان القهوة بين يديها.

قال سام بعد ان رشف قليلاً من القهوة: «ان هذه السهرة من أهم السهرات في حياتي... وأرى انك وراي متفقان جداً.»

ضحك راي ممازحاً: «تعني مثل هدوء الموسيقى الكلاسيكية؟» ثم وجه كلامه لآنا قائلاً: «عندما تنتهي من رؤية غابة شيروود، لِمَ لا تلقي نظرة على نيوستيد آبي؟ والذي يقع في منطقة اللورد بايرون.»

قالت ميريل بلطف: «معرفة هذا المكان امر خطر وجنوني.» ثم نظرت إلى راي لتجده ينظر إليها بتساؤل.

قال سام عند ذلك: «لدي فكرة افضل، فعندما انتهي من اجتماعي مع راي، نلتقي بكما في غابة شيروود ثم ننطلق جميعاً إلى نيو ستيد.»

اعتقدت ميريل في البداية ان راي سيرفض هذه الفكرة، لكن سام تابع بالحاح: «على أية حال، لا أرى مانعاً من ان نجمع ما بين العمل والمرح في بعض الأحيان. أهناك من مانع؟»

أجاب راي بهدوء: «لا أبداً. هل يناسبك ذلك يا ميريل؟»

هزّت برأسها موافقة بعد لحظة تردد. يبدو ان الظروف تفرض عليهما ان يجتمعا معاً، لكنهما على الأقل لن يكونا بمفردهما، ولكنها مع ذلك، شعرت بمدى صعوبة وخطورة تلك اللحظات معه.

قطع راي عليها تفكيرها قائلاً: «تعالي واجلسي قريباً من المدفأة، فهذا افضل لك.»

ابتسمت ميريل وجلست حيث أشار لها ان تجلس وهي تفكر، ما الذي تستطيع المدفأة ان تؤثر عليها وهي ترتجف في داخلها.

الفصل التاسع

«إذاً، هذه هي غابة شيروود!» قالت آنا بنبرة فيها نوع من خيبة الأمل وكأنما كانت تتصورها بشكل آخر. ثم أخذت تنظر إلى حقول القمح التي كانت تتوهج لمعاناً تحت أشعة الشمس.

ضحكت ميريل لخيبة أمل آنا قائلة: «كانت هذه الغابة في ما مضى، غابة فسيحة جداً، ولكن عوامل الطبيعة قللت من شأنها منذ بضعة قرون. على أية حال، لا تقلقي لقد بقي جانب مهم منها وسأدعك ترينه بعد قليل.»

«يسعدني أن أسمع ذلك منك، فأنا لا أحب ان أصدم بالذي صوّره عقلي عنها.»

علقت ميريل وهي تقف تلقائياً عند تقاطع الطرق: «اعتقد أنه من الأفضل ألاّ نجرف كثيراً بالذي يصوّره لنا عقلنا.»

«لكن الا تكون الحياة تافهة من دونها؟ فنحن نحتاج إلى الأوهام التي يصورها العقل لنا، لأنها احياناً صادقة معنا ولا تصدمنا وتكون مطابقة للحقيقة.»

تمتمت ميريل: «هذا إذا حالفك الحظ.»

«لا تكوني متشائمة، يا ميريل... على فكرة، أود شراء بعض الأشياء للذكرى.»

«ما من مشكلة في ذلك، فهناك محل في القرية القريبة من هنا ويمكنك شراء ما ترغبين منه.»

قالت آنا بينما كانتا تسيران في الغابة: «لقد أخبرني سام بأنك ستتركين العمل مع راي.»

«نعم.» ثم قالت ميريل وهي تحاول ان تغير دفة الحديث الذي يؤلمها من بدايته: «انظري إلى تلك الشجرة اليابسة، الا تذكرك بأفلام ديزني؟»

توقفت لتأخذ صورة الشجرة اليابسة وهي مندهشة لروعة منظرها ثم قالت: «يتخيل لي، انه عندما يحل الظلام، تعود هذه الشجرة إلى الحياة وتبدأ بالتمايل والتحرك... انظري يمكنك رؤية وجوه غريبة على اغصانها.»

أعادت آنا الغطاء إلى الكاميرا وقالت: «اتساءل، وطبعاً هذه حشرية مني، لماذا تريدين الاستقالة من العمل في شركة التصاميم الخشبية؟»

كبتت ميريل تنهيدة كادت ان تطلقها وقالت: «انني أرغب في التغيير لا أكثر.»

طأطأت آنا برأسها قائلة: «أعتقد انه من المتعب جداً العمل مع راي.»

أجابت ميريل بوهن: «نعم، يمكنك قول ذلك.»

توقفت آنا لترى عن كثب نبات الفطر يلتف حول جذع شجرة مقطوعة وهي تقول: «آه، ربما تفضلين رب عمل كالذي كنت تعملين معه في لندن والذي اخبرتنا عنه بأنه مصاب بوهم المرض... الأنه يجعلك أكثر سلاماً وأماناً؟»

«ربما.» قالت ميريل ذلك وهي تبعد نظرها عن آنا لتتطلع إلى الغابة الممتدة الأطراف، وقد أدركت أن آنا فهمت شيئاً وتحاول ان تستعلم أكثر بهذا الخصوص، وميريل تريد الابتعاد عن ذلك الموضوع الذي يؤلمها ويعذب روحها، فقالت وقد غيرت الحديث مرة أخرى: «انظري، اننا إذا دخلنا في هذا الممر، نصل إلى شجرة السنديان الضخمة،

التي يجب أن تلتقطي صورة لها. وهناك شجرة أخرى، يقال ان روبن هود كان يحتفظ بالأطعمة الغذائية بين اغصانها... وعندما نتناول طعام الغداء، سوف أقص عليك قصص وروايات روبن هود. هناك قصص تقول انه كان صديق لملوك البلانتاجيني وهي الأسرة المالكة التي حكمت بريطانيا عام (١١٥٤ ـ ١٤٨٥) ومنهم ريتشارد قلب الأسد وجون الذي أضاء التاج المزخرف بالجواهر، كما ان سكان يوركشاير يدعون ان روبن هود، هو من منطقتهم...»

وأدركت ميريل ان راي أخبر سام انها ستترك العمل عنده، وأسرع هذا الأخير ليخبر زوجته آنا بالأمر.

لذا، أية اشارة أو كلمة تصدر من آنا بشأنها أو بشان راي، يكون بواسطة سام وبالتالي صادرة عن راي.

لكن، شكرت ميريل حظها لأن آنا أرادت معرفة الكثير حول روايات روبن هود وأخذت تصغي باهتمام كلي للأساطير التي ترعرعت عليها ميريل. ارتها المعبد الصغير الذي يقال انه تم زفاف روبن هود فيه على الحسناء ماید ميريام.

عندما عادتا إلى السيارة قالت آنا: «أما بالنسبة إلى اللورد بايرون والذي سنذهب لزيارة المنطقة التي عاش فيها، اتساءل في ما إذا كانت الرواية صحيحة ام لا، وهل كان مجنوناً وسيئاً...»

قاطعتها ميريل مبتسمة: «ولمعرفته أمر فيه خطورة؟ لكنه يقال انه كان على جانب طيب كذلك.»

تأملت آنا بدهشة واعجاب شتول الورد على جانبي الطريق التي تؤدي إلى المنطقة التي عاش فيها اللورد

بايرون، بينما كانتا تتحدثان بألفة ومودة وكأنهما صديقتان قديمتان.

عندما اوقفت ميريل سيارتها إلى جانب الطريق، عرفت فورا سيارة راي المتوقفة إلى جانبها، بينما كان مع سام يجلسان في داخلها.

من الطبيعي ان تلحق وراي بالضيفين إلى داخل منزل اللورد بايرون التاريخي، اكتشفا انهما قد زاراه عدة مرات في الماضي. بينما سام وآنا يتعرفان على الاشياء الموجودة داخل المنزل بواسطة كتاب دليل السائح قال راي: «كان بامكاننا الا نأتي إلى هنا، لأننا شاهدنا هذا المنزل لعدة مرات.»

اجابته ميريل: «نعم، لكن وجودنا معهما اضطراري بالنسبة لعلاقة العمل التي تربطكما ببعض، على أية حال، انها فكرتك منذ البداية.»

نظر إليها بطرف عينيه قائلاً: «فعلاً انها كذلك... بالمناسبة هل استمتعت بمرافقة آنا في غابة شيروود؟»

«آه، كثيراً وقد مشينا مسافة طويلة واعتقد ان آنا تهوى المشي على الاقدام لدرجة الجنون، على عكس سام. ومع ذلك، فهو رجل حلو المعشر.»

أجابها راي بسرعة: «لقد بدا واضحاً انه معجب بك ليلة البارحة.»

أبعدت ميريل نظرها عنه متسائلة اذ كان يظن بأنها تحاول التودد لسام. وقررت ان لا تسكت عن ذلك، ولكنها عدلت عن ذلك عندما تقدمت آنا منهما قائلة: «من الغرابة ان يحفظ طوق الكلب الذي كان يخص اللورد بايرون طوال المئتي عام.»

وضح راي الأمر قائلاً: «آه، لقد أحب بايرون كلبه بوتسواين كثيراً، كما انه هناك نصب تذكاري للكلب تحت الأرض.»

ذكرتها ميريل قائلة: «هل رأيت، يا آنا، كما قلت لك، هناك جانب طيب فيه.»

تدخل راي قائلاً بلطف: «كمعظم الناس، ام انك لم تلاحظي ذلك؟» وغمز بعينيه بذات معنى فوجدت ميريل ان الفرصة مناسبة لتقول: «انك تدهشني فعلاً، فأنا لم اكن اعلم بأنك تملك هذه الصورة الخيالية ابداً.»

أجاب بمكر: «آه، هذا يعني انك لم تتعرفي عليّ بما فيه الكفاية بعد.»

قالت ميريل بايجاز: «أعرف جيداً وأكثر مما تتصور.» وعندما خرجوا جميعاً من ذلك المنزل التاريخي، عادت تنظر بدهشة واعجاب إلى المروج الفسيحة والخضراء، فهتفت آنا فجأة وقالت: «شلال! يجب ان التقط صورة له وأخرى لذلك الطاووس وبعد ذلك سنتمشى بين تلك الأشجار. هيا، يا سام، اعتقد بأنك استرحت بما فيه الكفاية لهذا اليوم.»

ابتسمت ميريل عندما تأوه سام لقول آنا التي لم تنتظر جوابه وأسرعت تخطو بخطوات واسعة إلى الغابة.

كانت ممرات الغابة ضيقة، واضطرت ميريل بالرغم منها ان تمشي إلى جانب راي لأن سام أسرع أمامها يحاول اللحاق بزوجته.

بدأ راي عند ذلك يكلم ميريل قائلاً: «بالمناسبة، أود أن أشكرك، لأنني على وشك ان اوقع اتفاقاً مهماً مع شركة سام وذلك يعود إلى تعاونك معي، ومن الواضح ان آنا قد

استمتعت بزيارتها هذه، وهذا يعود إلى ما قدمته من مجهود.»

أجابته ميريل بحيوية: «ان ذلك من دواعي سروري. وبالاضافة، انه من واجبات السكرتيرة المساعدة ان تقوم بمهام لا حدود لها. على اية حال، لا لزوم ان تبالغ بالثناء على ما قمت به لأنني في الحقيقة استمتعت بنهاري كله.»

اجابها ببرود: «آه، انني لم أدرك انني أبالغ بالثناء عليك، لذا، ليس من داعي لأن تكون متهكمة...»

قاطعته قائلة: «يا لها من صدفة غريبة، هذه هي الطريقة التي أرغب في وصفك بها.»

«انك نكرة كعادتك! الا يمكنك التوقف عن ذلك ليوم واحد فقط؟»

«حسناً، وهذا ما كنت افعله منذ البداية. فأرجوك ان تسمح لي ان اتمتع بزرقة السماء، وبأغصان الشجر المتضاربة الاتجاهات و...»

توقفت فجأة وقد تعثرت بقدمها.

أسرع راي وأمسك بمرفقها كي لا تسقط على الأرض وشعرت من ملامسته لها بألم في اعماق نفسها ثم قالت: «شكراً لك، ومع انه لم اكن بحاجة لذلك.»

«هل هذا صحيح؟» قال وهو ينظر مباشرة في عينيها، بينما كان سام وآنا قد ابتعدا عنهما في تلك اللحظات واختفيا بين أشجار الغابة.

مال نحوها ليقبلها على خدها فارتعشت قائلة: «لا... آه، أرجوك ان لا تفعل، الا ترى ان...»

«انك تتكلمين كثيراً، وتناقشين كثيراً، وتقولين لا دائماً. لماذا تفعلين بي هذا يا ميريل، تباً لك. لماذا؟»

ارتعشت ميريل متسائلة كيف يمكنها ان تجيب عن هذا السؤال؟ لكنها يجب ان لا تدعه يحاول تقبيلها مرة أخرى.

فابتعدت عنه قائلة: «لا أدري عما تتكلم.»

نظر في عينيها وقال: «تعرفين تماماً عما اتكلم.»

جذبها بعد ذلك من ذراعها ومشى بها في الاتجاه الذي مشيا فيه سام وآنا.

عندما وصلا إليهما وجداهما يعودان بينما كانت تقول آنا: «ان هذا الممر الذي دخلناه لا يؤدي إلى أي طريق.»

عند عودتهم جميعاً إلى مكان موقف السيارتين قال سام بأن سيرهم الطويل على الأقدام قد فتح شهيته إلى طعام شهي للعشاء وأضاف قائلاً: «سوف تنضمين الينا بالطبع، يا ميريل.»

تلعثمت ميريل لا تدري ماذا تقول، لأن الاستمرار في رؤية راي يعني المزيد لعذاباتها. وكل الذي استطاعت التفوه به: «لكن، انني...»

التفت راي إليها بحدة وقبل ان يتفوه باية كلمة، اسرعت ميريل تقول: «انني آسفة، يا سام. فأنا مرتبطة بموعد مسبق لهذه الليلة.»

أجابها عندما اقتربوا من سيارة راي: «اذاً، إلغي ذلك الموعد، يا عزيزتي.»

تدخل راي قائلاً بينما أخذ ينظر إلى ميريل بطرف عينيه من وقت لآخر: «اتركها، يا سام. لا يمكنك ان تنتظر من ميريل ان تفسخ موعدها فجأة دون انذار مسبق. وما ادراك ربما يكون موعدها في غاية الاهمية.» وكانت نبرة صوته كلها حيوية، ولكن كان فيها سخرية لم تخفَ على ميريل.

قال سام عند ذلك متذمراً: «آه، حسناً. يؤسفني فعلاً ذلك، وبالأخص لأنني سأغادر البلاد مع آنا غداً. لكن، ومن ناحية أخرى، اعتقد اننا تدخلنا كثيراً في اجازتك الأسبوعية، وفتاة مثلك قد يكون لها ارتباطاتها الخاصة.»

تدخل راي قائلاً: «وقد يكون هذا تصور معقول بالنسبة لها.» فتح عند ذلك باب سيارته لآنا وتابع قائلاً: «سام، ما رأيك لو تعودان معي، فستيلا غائبة، لكن يمكنني تحضير الطعام الخفيف لكما.»

ابتسمت آنا قائلة: «لا أرى أي مانع من ذلك، وشكراً لك.»

التفت راي نحو ميريل ولاحظت انه مازال غاضباً منها وهو يقول: «اذاً، سام وآنا سيعودان معي، فإلى اللقاء غداً في الشركة.»

ودعت ميريل سام وآنا وتمنت لهما رحلة موفقة وهي تشعر بفراغ مؤلم في داخلها، ثم استقلت سيارتها.

رأت ميريل في مرآة السيارة ان راي وراءها تماماً وعندما وصلت السيارتان إلى تقاطع طرق، تحولتا كل منهما في طريق. وأحست بقشعريرة باردة عندما شاهدت في المرآة ابتعاد سيارة راي في عكس اتجاهها.

«أتشعرين بالتعب؟» جاء صوت روب لينشل ميريل من سباتها في اليوم التالي، فرفعت رأسها من بين الأوراق التي بين يديها قائلة: «ليس بالتحديد، لكن لماذا تسأل ذلك؟» وانتظرت جوابه بترقب وحذر، فاذا كان يريد ان يقحمها بمشروع جديد يحتاج إلى مساعدتها، سيكون جوابها بالرفض لذلك. لأنها لا ترغب ابداً في مواجهة نوايا راي السيئة تجاهها مرة أخرى، وكل الذي تريده الآن ان

تنهي الأعمال المتبقية عليها لشركة التصاميم الخشبية قبل ان تتركها كلياً.

أجابها روب أخيراً: «آه، لا شيء، لكن راي دعاني وهيزر لتناول طعام العشاء معه ومع صديقته ليلة البارحة. وقد ذكروا أمامي انك مشيت وآنا مسافات طويلة في غابة شيروود، وبدلا من أن تريحي نفسك، ذهبت لقضاء سهرة مهمة في المساء، وقد شعر سام بالملل من دونك.»

أجابت ميريل بضجر: «آه، لا بد وانه كان كذلك... والآن، إذا كان هذا كل ما جئت لأجله، فأرجو ألا تنزعج إذا قلت لك بأنني منشغلة و...»

«هل لأنك تنظمين كل شيء قبل تركك الشركة؟ مع ذلك، أسألك لماذا تفعلين ذلك، وأعتقد ان هذا المكان لن يكون بحالة حسنة متى غادرته... على أية حال، لقد جئت أسألك ان كان لديك ملقط، فبينما كنت في المعمل حصل حادث صغير ودخلت شظية من الخشب في ابهام اصبعي.» ومد يده لتراها ميريل.

فتحت حقيبة يدها قائلة: «انك محظوظ، اتبعني إلى النافذة... والآن حاول ان تثبت في مكانك لأن الشظية الخشبية كبيرة ولا أريد أن أكسرها...» ومالت نحو اصبعه وسحبتها بخفة ورشاقة ثم قالت: «لقد نزعتها، هل آلمك الأمر؟»

أجابها بلطف: «انك طيبة جداً، ودقيقة في عملك، وحكيمة، وفوق كل ذلك تتمتعين بلمسة جذابة.»

ضحكت ميريل وفكرت بأنها ستشتاق إلى روب وإلى كلامه المعسول. ثم قالت: «أتعلم انك تضفي شمساً مشرقة

على حياتي... لكن ماذا تعرف أنت العابث واللاهي عن الجاذبية؟»

فسألها ببراءة الأطفال: «من يكون ذلك الحاقد والمؤذي الذي اسمعك هذا الكلام عني؟»

ضحكت ميريل مرة أخرى ولمحت راي يقف عند باب الغرفة وقد بدت ملامح وجهه جامدة وقاسية.

ثم قال بهدوء: «روب تباً لك، أين كنت؟ لقد بحثت عنك في كل مكان... أريدك ان تتجه في الحال لرؤية ماسلين، تعال إلى مكتبي لأزودك بالمعلومات حول ضرورة ذهابك إليه.»

تناهى إلى اذني ميريل صوت الرجلين دون ان تفهم كلمة واحدة ثم سمعت بعد ذلك صوت اقفال باب غرفة راي. وبعد لحظات قليلة دخل إلى غرفتها قائلاً: «سأكلمك رأساً وحالاً في الموضوع، فبالرغم مما قلته لك وطلبته منك، أجد انك لم تتفهمي كلامي جيداً.»

أجابته ميريل بضجر: «آه، هل تعني بأنك ما زلت تتهمني بأنني أحاول ان أفرق ما بين روب وهيزر؟»

«لا أعرف ما قد تكون خططك لكنه يبدو عليك...»

قاطعته ميريل بحنق: «لمعلوماتك، لقد جاءني روب لأنزع شظية من الخشب من ابهامه... ربما لا تصدقني؟»

أجاب بسرعة: «يعرف روب جيداً أين علبة الاسعافات الأولية موجودة وهي ليست في هذه الغرفة بالطبع، ففكري بعذر آخر.»

نظرت ميريل إليه وقد بدأ الغضب يزداد في داخلها ثم قالت: «اسأل روب ان كنت لا تصدقني، فاذا فضل ان يلجأ إلي في ذلك، اذاً انها...»

لمعت عينا راي بخطر وهو يقول: «سأقول لك لماذا فضل

ان يلجأ اليك... لأنه يعرف بأنه مرحب به في هذا المكان وانك تلهين معه و...»

وقفت ميريل فجأة وقد أخذ الغضب يهزها بعنف ثم قالت: «انني فقط ابادل روب لطفه معي لا أكثر. والحديث الذي يدور ما بيننا لا خلفيات له.»

ثم طرأ على رأسها فكرة جعلت الدم يغلي في عروقها وقالت: «هل كنت تظن ان الموعد الذي تكلمت عنه البارحة كان بيني وبين روب؟ لذا دعوته وهيزر إلى منزلك كي تبعده عني؟ أخبرني، يا راي؟ أهذا ما كنت تفكر به؟»

قطب راي جبينه قائلاً: «يا الهي، بالطبع لا، كنت فقط...»

قاطعته ميريل بغضب شديد: «اذاً، دعني اقول لك، انك تضطهدنا روب وأنا.»

«ذلك لأنه يوجد دافع يدفعني لاتصرف على هذا الشكل... وأعتقد هذا الدافع يجري في دماء العائلة.»

نظرت إليه بحدة قائلة: «ما الذي تحاول قوله بالضبط؟»

«أحاول القول انك تعرفين كيف تستعملين أنوثتك مثل ابنة خالتك بالضبط.»

بدت دهشة ومتعجبة في البداية من الذي قاله، لكنها أدركت بعد ذلك انه يعني إليز! وتساءلت كيف يتجرأ ويتكلم عن ابنة خالتها المتوفاة بهذه الطريقة. لقد كان في ما مضى يغير الحديث بدهاء كلما يأتي على ذكر إليز، فهل ما قاله الآن هو اعتراف لصداقتهما؟

شعرت ميريل في تلك اللحظات الدقيقة بأنها تشتعل غضباً، لكنها قررت ان لا ترد عليه وان تكون له الكلمة الأخيرة وتضع حداً لهذا الجدل الذي لا فائدة منه.

ابتعدت عنه وتوجهت نحو الخزانة وقالت بانهزام: «حسناً، وكما تريد.» فتحت الخزانة لا شعورياً وهي تدير له ظهرها منتظرة منه ان يتركها وحدها.

لكن راي بقي مكانه لبضع لحظات وكأنه عازم لمتابعة كلامه، لكن ميريل لم تقو أكثر على النظر إليه مرة أخرى. وأخذت تحاول منع دموعها من التساقط وقد تأكد لها انها لن تستطيع الوصول إلى حل وسط معه، وسمعت بعد ذلك وقع خطوات راي وقد خرج من الغرفة واقفل الباب وراءه.

عادت إلى الجلوس وراء طاولة عملها منهوكة القوى ثم اسندت وجهها براحتي يديها واصابعها ترتجف بشدة بينما عيناها اغرورقتا بدموع سخية تهدد بالتساقط بين لحظة وأخرى. لقد وصلت الأمور إلى حدها ولن يمكنها الاستمرار أكثر مع راي الذي أثبتت لها تصرفاته الأخيرة بأنه شخص لا يطاق.

مسحت عينيها وقررت ان تنهي العمل المتبقي بين يديها وعندما انتهت من ذلك وقفت وارتدت سترتها ولفت عنقها بشال أحمر اللون، ثم توجهت إلى باب غرفة راي. طرقته، ودخلت.

سألها: «نعم؟» وأحست بخوف شديد من ملامح وجهه القاسية لدرجة انها كادت تعود إلى غرفتها.

لكنها أجبرت نفسها على الاستمرار بما عزمت عليه واليوم أفضل من غد، فقالت له: «أتذكر اليوم الذي قلت لك فيه انني اود مغادرة الشركة نهائياً، أجبتني عندها انه يمكنني ان أغادر حالاً، هل تذكر ذلك؟»

أجابها باتزان: «نعم أنكر ذلك، اذاً؟»

«أوافقك الآن على ذلك العرض.»

قال ولم يغير من نبرة صوته: «فهمت. سأجهز راتبك حتى تاريخ هذا اليوم ومن ثم ارسله لك بالبريد.»

بلعت بريقها قائلة: «شكراً لك.» وشعرت بأنهما يتصرفان كغريبين من عالمين مختلفين.

عندما لم تتحرك من مكانها سألها: «هل هناك أي شيء آخر؟»

أجابته ميريل وهي تحاول الحفاظ على رباطة جأشها: «نعم، فعندما جئت في البداية إلى هذه الشركة، لم يكن من أجل العمل الذي نشرت اعلاناً عنه في الجريدة، بل جئت لأصفي حساب إليز المتبقي من ثمن الخزانة. لقد رأيت ان العمل لديك سيدعني أعرف من أي نوع من الرجال أنت والذي كانت تربطه صداقة مع ابنة خالتي إليز.»

نظرت إليه بتحد وقد رأت انه كان يستمع إلى كلماتها ببرود لاحياة فيه. فتابعت قائلة: «انني لم أقتنع بالقصة التي توفيت فيها إليز الا وهي حادث بالسيارة.» توقفت قليلاً لتلتقط انفاسها ثم تابعت تقول بصوت خنقته العبرات: «أقصد... ان الحادث كان نتيجة لحالة فكرية معينة.»

كان راي ينظر إليها بعينين ضيقتين ثم قال: «وماذا يعني كل ذلك؟ وما علاقتي بما تقولينه؟»

كادت تقتنع من دهشته التي ظهرت على وجهه، لكنها ابعدت الفكرة عن رأسها سريعاً، فمن الطبيعي ان يتظاهر بالدهشة وبأنه لا يدري عما تتحدث عنه.

«آه، انك تعرف ماذا أقصد. وقد أقريت به منذ دقائق قليلة، وقد عرفت بأنك كنت صديقاً لاليز، فكما قلت لك سابقاً ورثت

عنها كل شيء بما فيها دفتر مذكراتها فاضطررت إلى قراءة صفحاتها كي اتمكن من ملاحقة اعمالها وألغي الأمور والمواعيد التي كانت مرتبطة بها قبل وفاتها، وبين كل ذلك قرأت عن حياتها الخاصة، لذا لا أرى انه يمكنك التملص من هذا الأمر.»

اعجبت ميريل وحتى في تلك اللحظات الحرجة برباطة جأشه وتمالكه لنفسه. وتابعت تقول بنبرة باردة: «لذا، لقد جئت إلى هذه الشركة لأعرف فقط، أي نوع من الرجال أنت. وأدركت من خلال عملي معك انك تتهمني بأنني أحاول ان أجذب روب نحوي وأبعده عن خطيبته هيزر.»

«أتحاولين ان تفهميني بأنك لست من هذا النوع من النساء.»

«تماماً، مع انني لا أتوقع منك أن تصدقني، ولا يهمني ذلك ابداً.» شعرت ميريل بشيء في داخلها كأنما يعترض على قولها الأخير وبأنه يهمها جداً ان يصدق كلامها وتابعت قائلة: «وقد عرفت بعض الأمور عنك قبل ان تطأ قدماي عتبة هذه الشركة. وذلك طبعاً بعد قراءة مذكرات إليز التي كتبتها بخط يدها.»

نهض راي من كرسيه بسرعة ودفعه إلى الوراء وضرب الحائط بقوة جعلت ميريل تقفز من مكانها ثم قال: «اسمعي الآن...»

تراجعت ميريل إلى الوراء لتقف عند الباب هامسة: «لا، لن اسمع، لأنني ذاهبة الآن. ومتأكدة أن أية وكالة للمستخدمين تستطيع ان تؤمن لك سكرتيرة مساعدة لبعض الوقت إلى أن تجد واحدة تناسبك، ان الرسائل التي

طلبتها مني تجدها على طاولة مكتبي...» وأسرعت بالخروج.

وقفت في الطريق وهي مشوشة الافكار وغير متأكدة من الذي أقدمت عليه، ونظرت لا شعورياً إلى مبنى الشركة في اتجاه نافذة غرفة راي، فاعتقدت انها رأت شكله خلفها، لكنها لم تستطع التأكد من ذلك، وأجهشت بالبكاء ثم اسرعت إلى سيارتها.

سجنت ميريل نفسها في منزلها في الأسابيع التالية مكتئبة وحزينة، لكن الفطرة الحكيمة انبأتها ان تشغل نفسها بالعمل كي تمحو آثار ذكرياتها الأليمة. وتذكرت كيف انها تخطت آلامها مع ماكس، فلِمَ لا تحاول ان تمحي ما كان لها مع راي ايضاً؟

وصلها بالبريد بعد ذلك شيكاً مصرفياً لراتبها في الشركة وفتحته بيدين مرتجفتين، وأخذت تنوح وتبكي عندما وجدت مع الشيك رسالة شكر رسمية من قسم المحاسبة ولا شيء أكثر من ذلك.

أخذت في الليالي الطويلة تشغل نفسها بالعمل في الحديقة الخلفية لمنزلها استعداداً للذي ستزرعه في الربيع وتساءلت هل سيطل عليها الربيع من جديد؟ ووجدت ان الربيع المقبل سيكون فارغاً لا معنى له وهي تتذكر كيف جمعت في الربيع الماضي باقة زهر من حديقتها ووضعتها في غرفة مكتب راي.

كانت تخرج في بعض الأحيان مع جارتها ديان، لتناول العشاء مما خفف بعض الشيء عن نفسها المتعبة. كانت احياناً وبعد عمل مضن وشاق، يتهيأ لها انها استطاعت ان

تتحكم بعواطفها ومشاعرها، لكن ومن نواح اخرى كانت تشعر انها محبطة العزيمة ومحطمة القلب، وتذهب بأفكارها إلى شركة التصاميم الخشبية وتتساءل من تكون التي تجلس وراء مكتبها الآن، ومن التي تفتح الرسائل البريدية لراي؟ وكانت ذكرى هذه الأمور تزيد من تعاستها وكآبتها، فتحاول ان تقرأ كتاباً لكن دون ان تفقه كلمة واحدة منه.

فكرت بالسفر وبعطلة تمضيها في ايطاليا، فسافرت إليها وزارت ذلك البرج المائل في فلورنس والتقطت له عدة صور. وشربت الكابوتشينو في مقهى قرب بيازا سان فليس، ورمت قطعة نقدية في ينابيع تريفي فونتين في روما، وهي تتساءل لكم كانت هذه الرحلة اجمل لو كانت تطوف هذه الأماكن مع راي! فهو من المؤكد يعرف ان يشرح لها عن تلك الأماكن التاريخية، كما فعل في بروجز، حيث عجز دليل السائح عن تفسيرها.

كانت كلما رأت رجلاً طويل القامة ويخطو خطوات واسعة تحسبه راي، أو رجلاً يطالع الجريدة في الحديقة، تتأوه قائلة: اليس من نهاية لكل هذه المعاناة؟

انتهت عطلة ميريل وعادت إلى منزلها لتجد بطاقة دعوة لحفلة زفاف روب كانت قد وصلت في غيابها.

تحسست البطاقة بأصابع مرتجفة، تفكر براي الذي سيكون حتماً في الحفلة، لكنه لن يقترب منها ويكلمها خاصة بعد الذي جرى بينهما أخيراً. لكنها وعدت روب بأنها ستحضر الحفلة ويجب الآن ان تفكر في شراء ثوب مناسب لهذه الحفلة.

يوم السبت ذهبت إلى السوق لهذه الغاية واشترت ثوباً رائعاً وقبعة زرقاء من القش، وكان الوقت قد أصبح ظهراً، ففكرت ان لا تعود وتجلس وحيدة في منزلها بل ان تتناول طعام غدائها في مطعم قريب وبين جمع من الناس.

دخلت ميريل المطعم الفرنسي الصغير وسمعت صوتاً يناديها باسمها قائلاً: «ميريل! تعالي وانضمي إلي.»

تفاجأت ميريل بستيلا وابتسمت لها، وتساءلت عن تسارع دقات قلبها لدى رؤيتها، فكيف سيكون الحال معها لو شاهدت راي نفسه؟

قالت لها ستيلا عندما اقتربت ميريل منها: «يسعدني جداً أن أراك... ما هذه الأكياس. هل كنت تتسوقين؟»

ضحكت ميريل قائلة: «ثياب جديدة من أجل حفلة زفاف روب.»

بادلت ستيلا الضحك قائلة: «آه، ان ما يقوم به روب من تحضيرات يجعلك تعتقدين انه لم يحصل زفاف مثله من قبل... تبدين رائعة يا عزيزتي.»

شاركتها ميريل طعام الغداء وحدثتها عما كان لها في رحلتها إلى ايطاليا. ثم سألتها فجأة من غير قصد: «كيف حال راي؟»

أجابت ستيلا بقرف: «انه يعمل مثل عشرة رجال. لأنه لم يجد بديلة عنك بعد، بالمناسبة أسفت جداً لتركك العمل... واعتقد انك وراي تختلفان في الرأي والمنطق.»

شعرت ميريل بوخز قلبها من ذلك التصريح وقالت: «شيء من هذا القبيل.»

قالت ستيلا عند ذلك متأملة: «يا للأسف، فقد شعرت... آه، هذا

ليس من شأني بالطبع، لكنني أسفت لراي الذي يستحق مساعدة مثلك، فهو يعاملني معاملة طيبة، وبالأخص إلى روب، بالرغم من فارق السن بينهما... هل لديك اشقاء يا ميريل؟»

نفت ميريل قائلة: «انني وكما يقول المثل مقطوعة من شجرة، لا أشقاء ولا أقارب لي.»

ابتسمت ستيلا قائلة: «وأنا لدي روب، وبالطبع راي. لقد كان لي شقيق توأم.» وأخرجت ستيلا من تحت ياقة ثوبها سلسلة ذهبية علق بها صورتين داخل اطار صغير وأشارت ستيلا: «هذا زوجي الثاني وهذا شقيقي.»

انحنت ميريل لتنظر إلى الصورتين قائلة: «ان شقيقك يشبه روب كثيراً.»

«نعم... لكننا لسنا توأمين متشابهين في الصورة انما قريبان جداً من بعضنا... والآن، ما رأيك لتناول بعضاً من القهوة؟ ومن ثم عليّ الذهاب بسرعة، لأنني ما زلت افتش على حذاء وحقيبة يد لحفلة زفاف روب.»

قالت ستيلا بينما كانتا تخرجان من المطعم: «يجب ان نلتقي مرة أخرى، ونتفق على شيء مهم، احتفاءً بذلك الزفاف الميمون.»

أجابت ميريل بسرعة: «سيكون ذلك رائعاً.» آملة ان يكون ما قالته ستيلا من باب المجاملة واللياقة. فهي وبعد حفلة زفاف روب سوف تحاول ان تقطع اية علاقة بينها وبين ستيلا وروب، ذلك كي تتجنب اللقاء مع راي مرة أخرى. لأنها كانت تعرف وبكل تأكيد، بأن رؤياه أو سماع صوته، سوف يدمر الحائط الذي تحاول بناءه لتفصل به بين حياتها الماضية والحاضرة.

حل شهر ايلول - سبتمبر معلناً قدوم فصل الخريف، وتساقطت اوراق الشجر الصفراء على أرصفة منطقة غابة شيروود.

في يوم السبت الأول من الشهر، رن جرس الهاتف في منزل ميريل مخترقاً الصمت، والذي جعل من ميريل تقفز من مكانها، وعندما رفعت السماعة وجدت انه سيمون كليفورد الذي يعيش قريباً منها في براكون.

جاء صوته منذراً وهو يقول: «أخبار سيئة، لقد داهمتنا عاصفة هوجاء ليلة البارحة وكسرت بعضاً من القرميد على سطح كوخك. والمشكلة ان توم وندل الذي اجرته الكوخ غائب للمشاركة في ندوة مهمة.»

أسرعت ميريل تقول: «فهمت، سوف أجد شخصاً يعيد بناء سطح الكوخ بالقرميد.»

ثم أشار سيمون ملمحاً: «ان الطقس ممطر بغزارة، ولقد تمنيت لو ان مفتاح الكوخ معي لأدخل إليه وأقوم بتصليح مؤقت كي امنع دخول المطر إليه.»

أجابت ميريل: «لدي المفتاح، وسآتي فوراً اليك.»

عندما وصلت إلى الكوخ وجدت فيه خسائر أكثر مما توقعت، ذلك لأنه قديم جداً، ولكن الذي لفت نظرها، الترتيب والنظام في داخله الذي يختلف كلياً عن الأيام التي كانت إليز تعيش فيه. ومن الواضح ان توم وندل رجل عملي ولن يسر عندما يعود من ندوته ويرى السقف المتداعي للمنزل.

تمتمت قائلة لسيمون الذي كان يضع سلماً ليصعد إلى سطح المنزل: «شكراً لاتصالك بي، يا سيمون.» ثم صعدت خلفه على السلم.

أجابها بأدب: «ماذا تقولين؟ اننا جيران. أرجو لهذه الألواح المعدنية ان تسد الفراغ وتنجح بعدم تسرب المياه إلى المنزل.»

شعرت ميريل بالبرد الشديد وهي تقف على سطح المنزل فلفت ذراعيها حول صدرها وأخذت تنظر حولها لتتعرف ولأول مرة ان إليز كانت تستعمل هذا السطح لتخزن فيه اشياءها التي لا يمكن استعمالها يومياً. كان هناك عدد من المجلات الفنية وعارضة مكسرة تستعمل للرسم، أخذت ميريل ترتجف وقد تذكرت يوم الميلاد الذي امضته مع إليز بعد وفاة اهلهما. فكم هو موحش وكئيب هذا الكوخ اليوم مثل قلب حزين لا يكترث للحب.

عادت ترتجف من جديد وقد وجدت ايضاً شيئاً مغطى بقطعة من القماش وتأكد لها انها قد تكون إحدى لوحات إليز، فتقدمت بتثاقل وازاحت الغطاء عنها واسقطته على الأرض.

تسارعت نبضات قلبها وهي تنظر إلى الرسم في اللوحة، انها رسم لروب يظهر فيه ضاحكاً وعيناه تشعان زرقة وقد ارتدى قبعة سوداء عليها ريشة طائر.

الفصل العاشر

وقفت ميريل تحدق باللوحة بينما الأفكار تروح وتجيء في رأسها بعنف.

جاء صوت سيمون لينشلها من تلك الأفكار قائلاً: «لقد انجزت كل ما يلزم.» ونظر إليها متأملاً انقلابها المفاجيء وتابع يقول: «هل أنت بخير؟ أعرف ان الجو هنا يبعث السأم في النفس.» ثم حول نظره نحو اللوحة الزيتية وقال يا إلهي، من المؤكد ان الذي ازعجك رؤيتك لاحدى أعمال إليز.»

لم تستطع ميريل النطق بكلمة واحدة وشعرت بأنها عاجزة عن التحرك. لكن بعد ذلك وفي كوخ سيمون، سحب لها كرسياً وساعدها على الجلوس أمام المدفأة، وقال: «لقد تعرفت على الرجل الذي رسم في اللوحة، اليس كذلك؟»

كان سيمون قد حضر القهوة وسكبها في فنجانين ثم قدم إحداهما إلى ميريل، وتابع يقول: «لقد تعرفت أنا أيضاً إلى صورته، ولكنني لم أتعرف إليه شخصياً وحتى لا أعرف اسمه، مع انه كان يتردد دائماً إلى كوخ إليز.» كان سيمون يتكلم منتبهاً لكل كلمة يقولها لأنه يخشى أي تاثير منها على ميريل.

قالت له وهي تتصنع الابتسام: «ما من شيء يهم الآن، ويمكنني ان اتكلم عن إليز الآن دون ألم. إذاً، لقد كان أحد اصدقائها.»

«نعم، لقد كان كذلك. وكان يأتي دائماً في عطلة نهاية الأسبوع... ولم التقِ به من قبل. كان هو وإليز يجلسان في الحديقة في الأيام الحارة واسمع ضحكاتهما وهمساتهما.»

سألته ميريل قائلة: «ولكنك قلت انك لم تكن تعرفه ولا تعرف اسمه؟»

«لا أبداً، فقد كانت إليز تدعوه يا رفيقي، بينما كان هو يناديها يا عزيزتي وإلى ما هنالك من القاب رقيقة.»

توقفت ميريل عن الاصغاء وانشغل تفكيرها بكلمة واحدة وهي، رفيقي. هل من الممكن ان يكون ذلك؟ وان إليز كانت تشير بالحرف (ر) في مذكراتها إلى روب؟ وان الحرف (ر) كان يعني رفيقي؟ وهذا يعني انه روب وليس راي؟

اسرعت تشرب ما بقي في فنجان القهوة وشكرت سيمون على خدماته لها ثم وقفت تريد مغادرة المكان وقد شعرت انها بحاجة لتنفرد بنفسها وتطلق العنان لتفكيرها.

لاحظ سيمون انها ليست على ما يرام، فقال لها: «تبدين ضعيفة جداً، ما رأيك لو نخرج لتناول طعام الغداء في أي مطعم؟ فهذا سيحسن من حالك.»

«لا، لا استطيع ذلك. لكن، شكراً جزيلاً لشعورك الرقيق نحوي، اما بالنسبة للذي سيقوم بالتصليحات...» وتكسرت الكلمات فوق شفتيها ولم تدر ما تقوله أكثر من ذلك بسبب التشويش في ذهنها.

«آه، أعرف رجلاً اختصاصي وسأطلب منه الحضور صباح الاثنين المقبل. على فكرة، هل الكوخ مؤمن عليه في الشركة؟»

وبصعوبة تمكنت ميريل ان تبعد افكارها عن اللوحة التي رأتها منذ قليل وتجيب عن سؤال سيمون قائلة: «آه، نعم... نعم انه مؤمن عليه. واشكرك مرة أخرى، يا سيمون. فقد اثبت فعلاً بأنك من الجيران الطيبين.»

كان في رأسها اسئلة عديدة تود طرحها حول إليز، وروب... ولكن شعوراً منها بالوفاء إلى ابنة خالتها منعها عن ذلك. وعندما وصلت إلى الباب، لم تستطع ان تمنع نفسها من طرح هذا السؤال: «هل... هل كان لأليز اصدقاء كثر؟»

ابتسم سيمون قائلاً: «نعم، وعدد لا يستهان به، فهي وكما تعلمين كاملة في كل شيء.»

«ذلك الذي رسم في اللوحة. يبدو انه شاب بينما إليز كانت قد ناهزت الثلاثين من عمرها.»

«نعم انه اصغر سناً منها، لكن إليز لم تكترث لفارق السن. على أية حال، انها ابنة خالتك ومن المؤكد انك تعرفينها أكثر مني.»

أجابته ميريل متأملة: «اتساءل احياناً، اذا كنت فعلاً أعرفها جيداً.»

علق سيمون قائلاً: «معك حق، فالانسان لا يعرف دائماً الشيء الكثير عن أخيه الانسان... حسناً. اننا دبرنا مشكلة سطح الكوخ وسوف اتصل بالذي اخبرتك عنه كي يصلحه وأعود إلى الاتصال بك مساء الاثنين لابلغك كيف تمت الأمور.»

قادت ميريل سيارتها بدقة وانتباه شديدين في طريق العودة إلى منزلها، وابعدت عن رأسها التفكير بالأمور

الجديدة التي عرفتها. لكن عقلها الباطني لم يهدأ وعندما اوقفت سيارتها أمام منزلها اخذت تفكر بسخافة خطأها أمام راي.

عندما دخلت إلى منزلها الهادىء، جلست قرب النافذة واخذت تحدق إلى الخارج بينما أفكار كثيرة تملأ رأسها دون ان تتمكن من التركيز على فكرة واحدة، بخصوص حفلة زفاف روب، وعلى ما ذكره ريتشارد سترلينغ بشأن إليز... ومن كلام راي الأخير المقتضب والموجز والذي ختم فيه ذلك الموضوع. قطبت ميريل حاجبيها واغمضت عينيها مفكرة، انها عندما تعرفت على روب وهيزر، كان لراي سبب وجيه لعدم الاستمرار معها بالحديث بشأن إليز، وكان روب قد عقد النية على عدم اللهو والعبث بعد الآن وان يتقدم باعلان خطوبته على هيزر.

تذكرت كيف كان راي يتجنب الحديث عن إليز في كل مرة تأتي على ذكرها، بينما كانت هي تعتقد بأنه يريد ان يخفي صداقته مع إليز لأنه يشعر بالذنب من الطريقة التي ادت إلى وفاتها.

لكن، لماذا لم يقل لها راي بأنها اساءت التقدير؟

جاءها الجواب عن سؤالها هذا مثلما يتلقى المرء صفعة على وجهه، لأنها لم تترك لراي فرصة لشرح الموقف عندما اطلعته على شكوكها فيه في آخر يوم لها في الشركة، بل خرجت منفعلة أشد الانفعال دون ان تلتفت ورائها.

مرت عليها عطلة نهاية الأسبوع هذه، وهي في اتعس حالاتها، وكان في رأسها فكرة واحدة تحتم عليها ان تعتذر إلى راي لأنها اساءت فهمه. لكن الذي كان يحيرها، لماذا

أراد راي ان يبقي صداقة روب وإليز قيد الكتمان؟ وهل كان يؤثر لو اكتشفت هيزر ذلك؟

نعم، انها تدين لراي باعتذار، مع العلم انه لا يهمه هذا الأمر كثيراً، ذلك إذا اخذنا بعين الاعتبار ما يعتقده فيها، لكن عليها ان تتكلم مع روب أولاً.

اتصلت بروب ظهر يوم الاثنين، وبدا سعيداً لسماع صوتها وخاصة عندما قالت له انها تود لقاءه في يوم الغد، وتابعت بالحاح: «لن يكون لقاؤنا في المطعم القريب من الشركة، بل في ذلك المطعم الايطالي في استرا.»

التقيا في اليوم التالي واخذا يثرثران في البداية لفترة من الوقت حول امور لا اهمية لها، إلى ان سألها روب: «تبدين نحيلة، فهل أنت متوعكة؟ ان راي متوعك هو الآخر، وبالمناسبة لقد بدا عليه الاستياء عندما قلت له انني اريد ان اتناول طعام الغداء لهذا اليوم في وقت ابكر من العادة.»

ارتعشت ميريل لذكر راي واسرعت تقول: «ارجو ان لا تكون قد قلت له انك ستجتمع بي؟»

«لا، ابداً فأنا أعرف انه لا يشجع صداقتنا. ومنذ عودتي من ماسلينز، كان همه الوحيد ان يعرف مكان وجودك، ويتهمني بك... ماذا جرى؟ هل تشاجرتما مع بعضكما؟»

تذكرت ميريل ملامح وجه راي المضطربة عندما اتهمته بإليز ثم أجابت روب قائلة: «يمكنك ان تقول ذلك، ولم يكن الأمر مسراً...» ثم قالت بعد لحظة وقد قررت ان تدخل في الموضوع: «روب، إلى أي مدى كنت تعرف إليز ماسترز، ابنة خالتي؟»

نظر روب إليها مندهشاً ثم قال: «هل كانت إليز ابنة

خالتك؟ لم أعرف ذلك من قبل! وقد اخبرني راي بأنها توفيت بحادث سيارة في وقت مضى، آسف جداً... لم أكن اعلم بأنكما قريبتان.»

تأملت ميريل ملامح وجهه وقرأت فيها الاهتمام والندم. ثم اعادت سؤالها بهدوء: «انك لم تجب عن سؤالي بعد.»

أجابها بعد لحظة تفكير: «كيف عرفت أنني كنت على معرفة باليز؟»

«لقد قرأت مذكراتها وعرفت أنها كانت تلتقي بأحد الرجال أكثر من غيره، لكنني في البداية لم أعرف هوية ذلك الرجل... إلى ان وجدت لوحة زيتية لرسمك كانت قد رسمتها بريشتها.»

ظهر الحرج على روب وهو يقول: «آه، فعلاً... لقد كنا نلهو لبعض الوقت و... آه، اللعنة... هل علينا ان ندخل في هذا الموضوع؟»

لمست ميريل يده برفق وقالت: «ارجوك، ان الأمر في غاية الأهمية بالنسبة لي، أريد فقط ان أعرف مدى معرفتك بها؟»

اعتقدت ميريل في البداية انه سيرفض الاجابة عن سؤالها، لكنه تنهد وهو يحل ربطة عنقه قائلاً: «أفهم ان الأمر يهمك جداً، حسناً، وان كان لا بد من الاجابة، أعترف بأنه كان بيني وبين إليز صداقة متينة لفترة من الوقت... لقد التقينا في إحدى المرات في حفلة، بينما كنت في تلك الاثناء التقي مع هيزر ثم نتخاصم، لكنني لم اكن مرتبطاً بها كما أنا اليوم. لكنني عندما تعرفت على إليز، اعجبت بها وبروعة جمالها الغجري.»

طأطأت ميريل برأسها وفهمت تماماً ما كان يقصده.

تابع روب كلامه قائلاً: «وتم التعارف عندئذ في ما بيننا.»

استعجلته ميريل قائلة: «هيا، تابع كلامك.»

ظهر الحرج على وجه روب ثم قال: «ماذا تريدين ان أقول لك؟ حسناً، لقد تمت بيننا صداقة كبيرة، وقد كانت إليز، آه... لا أعرف ماذا اقول، انها مختلفة عن غيرها، صحيح انها كانت تكبرني بالسن، لكن ذلك لم يؤثر على صداقتنا.»

سألته ميريل بلطف: «هل احببتها؟»

اكفهر وجه روب وهو يقول: «احببتها؟ الحقيقة انني لا أعرف ان كنت فعلاً قد احببتها أم لا، لكن يمكن القول بأنني كنت مفتوناً بها.»

تابعت ميريل قائلة: «مع ذلك، تركتها في النهاية.»

نظر روب إليها بدهشة وقال: «لم افعل ذلك، من اين جاءتك هذه العبارة؟ لا بل على العكس تماماً.»

«آه، ولكن...» وتذكرت ميريل ان اللوحة كانت مهشمة بعض الشيء وكأن إليز قامت بذلك وهي في حالة يأس شديد.

تابع روب يروي قصته مع إليز قائلاً: «ذهبت إليها مرة يوم الجمعة وأنا اتوقع ان تلاقيني كعادتها، لكنها ابلغتني ونحن نتناول طعام العشاء، بانها لم تعد ترغب بصداقتي بعد اليوم.» وتوقف قليلاً عن الكلام بينما كان يقدم النادل القهوة لهما. ثم تابع يقول: «غضبت وقتها، لأنني لم اتصور يوماً بأنها ستضع حداً لصداقتنا.»

قالت له ميريل عند ذلك: «هل تقول الحقيقة، يا روب؟ اعني هل هي التي ابطلت صداقتكما؟»

أجابها بصدق: «نعم، وأنا أكيد من ذلك مع انني كنت ارغب في ان تطول صداقتنا أكثر وأكثر.»

بدت ميريل أكثر جدية من الأول وقد وصلت ايضاً تساؤلاتها في سبب وفاة إليز إلى طريق مسدود. فسألته فجأة: «إذن، ما السبب الذي دفعها إلى انهاء الصداقة في ما بينكما؟ هل من اجل رجل آخر؟» سألته ميريل وقد تأكد لها أنّ هناك جانب من حياة إليز لم تكن تعرفه اطلاقاً.

نفى روب قولها: «لا. تركتني من اجل العمل فقد شعرت بأنني اقف حجر عثرة بينها وبين عملها وهي على استعداد لأن تقوم بأعمال مهمة. صعقت وجننت من قرارها هذا ولم اعد اقدر للاصغاء إلى شرح اوسع.»

خيم الصمت عليهما لبرهة وجيزة، وتذكرت ميريل الملف الذي يضم الخطوط الأولية لأعمال إليز.

تابع روب يقول: «كل ما في الأمر ان إليز لم تكن من النوع الذي يبدأ عملاً ولا ينهيه، من المؤكد انك تعرفين عنها ذلك بصفتها ابنة خالتك وتعطي الأمور التي تهمها شخصياً كل اهتماماتها. لكننا افترقنا في النهاية بطريقة سليمة وودية، واشتريت منها قبل ان اتركها في يوم الجمعة، لوحة زيتية لغجرية عمياء لأقدمها هدية لوالدتي في ذكرى مولدها.»

تذكرت ميريل وهي تشعر بالألم في صدرها، تلك اللوحة في منزل راي والتي اعتقدت انها له.

قال روب يقطع الصمت بينهما: «والآن، اعتقد انني قد اجبت عن سؤالك بالتمام. لكن، هل لي ان أعرف لماذا اردت معرفة كل ذلك؟»

أجابته ميريل ببطء: «هذا من حقك. لقد عرفت ان إليز تصادق رجلاً أكثر من أي رجل آخر، كما انني عرفت انها توفيت مباشرة بعد ان توقفت عن رؤية ذلك الرجل، وطريقة الوفاة كانت بحادث سيارة مع ان لاليز خبرة ومهارة في قيادة السيارات... تساءلت كثيراً في البداية إلى ان تحولت تساؤلاتي إلى الشك بالرجل الذي اتضح اخيراً انه أنت وبأنك أنت الذي دفعها إلى ان تصطدم بالشجرة عمداً لأنك خرجت من حياتها نهائياً. فبعد ان قرأت مذكراتها، قدرت بأن الرجل المعني هو...» انحبست بقية كلماتها في صدرها المتألم وقد ادركت إلى أين انتهى بها الأمر من القصة التي صورها لها عقلها، ومن الخطأ الفادح التي ارتكبته تجاه راي.

أمسك روب يدها برفق وقال: «واعتقدت بأنني حطمت قلبها؟ آه، يا ميريل، لماذا لم تطلعيني على هذا الأمر قبل الآن وارحت نفسك؟»

«لأنني اكتشفت امر اللوحة الزيتية التي تحمل صورتك يوم السبت الماضي وعندها تأكد لي انك أنت الذي كانت تشير إليه في مذكراتها بحرف (ر) ولم تستعمل اسمك كاملاً ولا مرة.»

بدا القبول على ملامح وجهه وهو يقول: «لأنها لم تكن تستعمله خلال صداقتنا الممتعة والمرحة معاً، ولن انسى ما حييت تلك الأسابيع التي امضيتها برفقتها.»

صمتا لبرهة وجيزة وقطعت ميريل الصمت بعد ذلك قائلة: «وهل كان راي يعلم بأمر صداقتك مع إليز؟ وقد قلت لي مرة انه يحذرك من سحر الحب؟»

اوما روب برأسه موافقاً ثم قال: «لقد التقى بها مباشرة

بعدما تعرفت عليها، وكانت تريد خزانة، لكن كان لا بد من اخذ بعض القياسات في الكوخ، لذا ذهبت مع راي. وكما تعلمين، فهو ليس غبياً وقد لاحظ اهتمامي بإليز أبعد من ان يكون اهتماماً بأية زبونة عادية. بعد ان انتهت الخزانة، كنت وراي مضطرين للذهاب إلى شمالي البلاد. فأوصلنا الخزانة إلى إليز في طريقنا. وفي الكوخ تفوهت إليز بشيء دون قصد منها، عندها تأكدت كل شكوك راي.»

قالت ميريل بسرعة: «الم يكن يحبها؟»

«لا ادري، لكن على الأرجح انه لم يكن كذلك. كما انه لم يكن موافقاً على صداقتنا معاً، ومتضامناً مع والدتي.»

نظرت إليه ميريل في تلك الاثناء متسائلة فأجاب روب عن سؤالها قائلاً: «لقد قلت لك عدة مرات انني فتى عابث وطائش، وقد كبدت راي ووالدتي مشكلات كانا بغنى عنها، كنت وقتها اعاشر أولاد السوء... وقام راي بمعالجة وضعي قبل أن أسبب أي اذى لنفسي.»

استعجلته ميريل قائلة: «هيا، تابع كلامك.»

«لا ادري ان كان من الضروري ان انبش الماضي أكثر، لكن، وبطريقة من الطرق انقشع تصرف راي تجاه إليز... كان لوالدتي شقيق توأم لها وكانت تحبه كثيراً، لكنه كان من النوع العابث واللاهي تماماً كما بدأت حياتي أنا. وترك البلاد بعد فضيحة لم أعرف كل تفاصيلها، وكان لديه مركب يبحر بواسطته إلى البحر المتوسط، ولا ادري إذا كان يقوم بأعمال تهريب سلع ممنوعة ام لا، وتوفي بعد ذلك في البحر.»

قالت ميريل عند ذلك بتأثر: «لكم كان الأمر محزناً بالنسبة

لوالدتك.» وتذكرت ميريل تلك القلادة في عنق ستيلا والتي بها صورة لشقيقها التوأم.

«نعم، لقد كان كذلك. وكنت اشبهه ايضاً بالمظهر الخارجي وبأشياء اخرى. واعتقدت والدتي بانني سأسير على طريقه. لذا، فقد كان راي يتوخى الحذر من إليز وقد اعتقد بأنها قد تسبب لي مشاكل عدة.»

اشرق وجه روب بعد ذلك وقال: «اما الآن، فوالدتي وراي قد توقفا عن القلق بشأني وقد وجداني انشد الاستقرار في حياتي، ووجدا ايضاً ان هيزر فتاة طيبة ومناسبة لي، كما انني أنا ايضاً لن اعثر على فتاة مناسبة أكثر منها.»

هزت ميريل برأسها موافقة وقالت: «انكما تناسبان بعضكما البعض.» ثم نظرت إلى ساعة يدها وقالت فجأة: «تباً، يجب أن أعود. اعتقد باننا أمضينا وقتاً طويلاً على الغداء، يا روب. وشكراً على صراحتك معي، لقد اوضحت لي تساؤلات كثيرة كانت تتجمع في رأسي.»

قال روب باهتمام: «ارجو ان يكون هذا سراً بيننا نحن الاثنين. اعني... لا تأخذي عني صورة سيئة، فأنا لم اكن بأسوأ من العديد من الشبان... ولقد تغيرت كثيراً اليوم.»

«لا تقلق، يا روب ويمكنك ان تثق بي.» ثم ابتسمت قائلة: «اذاً، إلى اللقاء في المعبد.»

أجابها روب ضاحكاً: «نعم، ساكون هناك.»

عند المساء، أخذت ميريل تعيد في ذاكرتها الحديث بينها وبين روب. وتذكرت كيف كانت توجه اتهاماتها وشكوكها إلى راي، بينما في الحقيقة كان يجب ان توجهها إلى روب. وادركت لأول مرة، انه كان على حق في ما كان يعتقده

بشأنها وذلك خوفاً على روب وعلى ضمان مستقبله.

لو كانت تدري فقط وعندما التقت به لأول مرة بأنه سوف يكون له تأثير على حياتها العاطفية، لكانت عند ذلك مشت وابتعدت عن شركة التصاميم الخشبية. لكنها بقيت والتحقت بالشركة واستطاع راي عند ذلك ان يملأ فراغ حياتها وما يزال. لكن حياتها أيضاً مليئة بالندم الكبير لفداحة الأخطاء التي ارتكبتها بحقه. تقرر يوم زفاف روب وهيزر في أروع أيام شهر ايلول - سبتمبر. ونظرت ميريل إلى الضباب الخفيف الذي لف المدينة وقد تذكرت إحدى لوحات إليز الرائعة التي رسمتها سابقاً. لكن ومع حلول الساعة العاشرة، اختفى الضباب واشرقت الشمس واصبحت السماء الزرقاء الصافية.

ارتدت ميريل ثوبها الجديد لمناسبة حفلة الزفاف بينما كانت تشعر باضطراب وببرودة شديدة في داخلها. لأنها لم تر راي منذ ذلك اليوم الذي خرجت فيه من مكتبه لآخر مرة.

رحب راي بها عند باب المعبد بلطف واحترام كما تفرضه هذه المناسبة السعيدة، لكن ذلك لم يبدد شيئاً من اضطرابها الداخلي، بل وعلى العكس، شعرت أكثر بالحقارة والازدراء من نفسها لشكوكها السابقة فيه.

كان روب متأنقاً فوق العادة، وكيف لا وهو يحتفل بأجمل لحظات عمره. دخلت هيزر وقد تأبط والدها بذراعها، فالتفت روب إليها وعيناه تشعان بهجة، بينما كانت الموسيقى تعزف اعذب الألحان لهذه المناسبة، أخذت الدموع تنهمر بغزارة من عيني ميريل، وكانت دموعها مزيجاً من الفرح والكآبة التي تغمر روحها وكيانها، وكل

الذي تتمناه الآن أكثر من أي شيء آخر، هو ان تتمكن من التحدث إلى راي على حدة، فهل يا ترى سيأخذ كلامها له واعتذارها منه بعين الاعتبار؟

في الحفلة بقي راي على مسافة منها، وكانت تتظاهر ميريل طوال الوقت بالحيوية والفرح بين معارف واقرباء هيزر التي غيرت ثوب الزفاف بعد ان تم الاحتفال، إلى ثوب زهري من اللينين، واخذت بعد ذلك هي وروب يودعان ضيوفهما، وعندما وصلا إلى ميريل قالت هيزر: «يجب ان تزورينا بعد ان نعود من شهر العسل، ولدينا شقة رائعة قرب البحر واود ان يراها الجميع.»

ابتسمت ميريل لوجهها المشرق وقالت: «نعم، ارغب جداً في رؤيتها...» لكن ما قالته لم يكن صحيحاً وقد اظهر لها القدر اليوم خطوطاً سوداء تنهي الفصل الأخير لمعرفتها براي.

ذهب العروسان وأخذ الضيوف عند ذلك يغادرون جماعات ووحداناً. وتأكد لميريل ان تلك الفرصة التي ترقبتها لتتكلم مع راي لن تسنح لها ابداً.

شعرت فجأة انها لن تستطيع الخروج من ذلك المكان بتلك السهولة، ولن تقبل على نفسها الهزيمة والتراجع عن عزمها لتكلم راي وهذا مما يؤكد ان النوايا كانت طيبة. فاتجهت نحو المنزل لتودع ستيلا لكنها كادت تصطدم براي نفسه. أخذت تنظر إليه وقلبها يقطر الما وكآبة، وأسرعت تقول له قبل ان تفقد شجاعتها أمامه: «راي... يجب ان اتكلم معك.»

نظر إليها بتعجب وقال: «الآن؟ لا يمكنني ذلك ابداً.»

صعقتها كلماته وقالت بحرقة: «انك لا تتغير، يا راي... فظاً كعادتك.»

أجابها بهدوء: «انني لست فظاً، لكنني انسان صريح لا أكثر، كما لم تكوني يوماً معي ما عدا بالطبع، في ذلك اليوم الأخير الذي كان لنا في المكتب، حيث افرغت ما في صدرك من كلام حاقد وغاضب.»

تمتمت بعد لحظة تفكير: «معك حق، وآسفة لذلك... من كل شيء صدر عني... ولهذا السبب اردت ان اتكلم معك.»

نظر إلى وجهها متأملاً ثم قال: «اسمعي، اريد ان اوصل ضيفين من الحفلة إلى منزلهما... اذهبي إلى غرفة المكتبة التي في نهاية الرواق وانتظري عودتي.»

كانت غرفة المكتبة عامرة بالكتب القيمة كذلك بالرسومات الزيتية، لكن ذلك لم يثر اهتمام ميريل ابداً، وشعرت بينما كانت تنتظره بأن الدقائق تمر عليها وكأنها ساعات.

عندما دخل، جلس بسرعة على مقعد قريب وقال: «اذاً، تريدين التكلم معي؟»

هزت ميريل برأسها قائلة: «لقد... لقد عرفت كل شيء الآن.»

اخذ يراقب تعابير وجهها ثم قال: «هل تعنين بذلك إليز؟»

عادت ميريل تهز برأسها وقد حجبت الدموع المترقرقة في عينيها كل رؤية وذلك نتيجة المحنة التي مرت بها، واخذت تفتش في حقيبة يدها عن محرمة ورقية لتمسح دموعها.

قال لها عند ذلك: «خذي محرمتي... ولا تبك، يا ميريل، لأنني في المستقبل لن استطيع ان امحي من ذاكرتي بكاءك في غرفة مكتبي.»

أخذت المحرمة منه ومسحت دموعها ثم قالت: «لا أعرف ماذا دهاني... فحفلات الأعراس احياناً...» توقفت فجأة عن كلامها ونظرت إليه متسائلة: «لكن ما الذي يدفعك للتفكير بي؟»

أجابها وبصعوبة مرارة: «ذلك لأنك امرأة لا تنسى، وقد سبق ان قلت لك هذا.»

همست ميريل: «انكر انك قلت لي هذا بعد عودتنا من بروجز. آه، راي... دعني اكلمك، دعني أقول ما جئت من أجله قبل أن تخونني شجاعتي. لقد ارتكبت اخطاء فادحة تجاهك وتجاه إليز أيضاً. واعتقدت انك صديقاً لاليز وانك مرتبط بحادثة وفاتها. لذا، جعلتك تعتقد بأن لي حياتي الخاصة والاجتماعية و...»

«انه لا وقت لك لأي شيء.»

«نعم، وهل تذكر تلك الليلة التي أوصلتني فيها إلى منزلي؟» وعندما هز برأسه موافقاً، تابعت تقول: «كنت أمر في ذلك الوقت بحالة نفسية مرهقة، وقد تخلى عني صديقي في لندن، كما ان وفاة إليز جعل من حالتي اسوأ، وآخر ما كنت أنتظره من أي كان، ان يشفق علي أو ان يشعر بانني ضعيفة وفي حاجة للمساعدة، لذا جعلتك تعتقد عكس ذلك تماماً.»

قال راي عند ذلك ببطء وعيناه لا تفارقان وجهها: «ولهذا السبب، اسأت الظن بك في بروجز عندما التقيت بريتشارد.»

«نعم ولم اخبرك بالحقيقة، لأنني لم اقبل ان تبني صداقة معي وسبب ذلك كما قلت لك سابقاً، لأنني كنت اعتقد بأنك متورط بموت إليز.»

قطب حاجبيه قائلاً: «تعنين حادثة الاصطدام بالشجرة؟

لقد قلت مرة شيئاً عن وجهة نظر إليز، ولم ادر وقتها إلى ماذا كنت تلمحين، كما وانك خلال فترة عملك معي، كنت تلمحين ايضاً وبصورة غير مباشرة عني وعن إليز.»

«نعم، وكنت مخطئة في ذلك. ولم تكن ابداً ذلك الرجل الذي صوره لي عقلي. آه، لا يمكنني الخوض بهذا الأمر من جديد، وقد عانيت الأمرين منذ عرفت بأنك لم تكن الرجل المقصود، بل كان روب.»

سألها راي بهدوء: «هل تحدثت معه؟»

«نعم، طلبت منه ان يوافيني، وذلك عندما وجدت حقائق تدل على انه...»

قاطعها راي قائلاً: «اسمعي، الا يسعنا ان نترك ذلك جانباً؟ الأمر يخص روب وإليز وقد انتهت صداقتهما منذ وقت طويل، كما ان روب تزوج الآن، وإليز توفيت لسوء الحظ بذلك الحادث.»

قالت ميريل بينما تمسح بيدها دمعة سقطت على خدها: «يجب ان اريح صدري واتكلم. آه، يا راي، لماذا لم تخبرني بأنني كنت مخطئة في تقديري؟ خاصة في اليوم الذي تركت فيه الهركة.»

«ربما كان من الواجب ان اقول لك ذلك، انما لم تحاولي الاصغاء إليّ، كما انني لم ارض ان اقوم بشيء قد يهدد زواج روب من هيزر. كنت ستسببين بانفصالهما عن بعضهما، وبالأخص، لم تكوني على معرفة بالصداقة التي كانت بين إليز وروب.»

قالت عند ذلك بصوت ضعيف: «لقد اعتقدت بل وتساءلت في ما لو كانت انتحرت بسبب ذلك الرجل.»

«لقد حملت عبئاً ثقيلاً في صدرك طوال هذه المدة، يا ميريل.» قال راي وقد شعر بالذي كانت تعاني منه. ثم وقف وتوجه إلى المكتبة واستدار لينظر إليها متابعاً القول: «كما علينا ألا ننسى التفكير بستيلا، وهي التي صدمت عدة مرات في حياتها وقد تعتقدين احياناً انه لا يبدو عليها ذلك. فقد توفي اخوها الذي احبته كثيراً بظروف غامضة ومن ثم زوجها الأول، واخيراً كان عليها ان تقوم بدور الممرضة تجاه زوجها الثاني أي والدي الذي استمر مرضه طويلاً في اوقات لم تكن هي في حالة نفسية مرتاحة... والرحلة التي قامت بها مؤخراً، كانت بمثابة فترة نقاهة لها. واعلم انها لا ترغب ابداً بأن اتحدث بهذا الموضوع مع أي كان، لذا هل ادركت الآن بأنني كنت مكبل اليدين؟»

هزت ميريل رأسها بهدوء وقالت: «يبدو انني خلطت الأمور بشكل فوضوي.»

ابتسم راي فجأة ثم قال: «ما من شيء يصعب معالجته. ولنعود الآن إلى موضوعنا، فعندما استقرت الأمور ما بين روب وهيزر، وعادت ستيلا إلى حيويتها ونشاطها، كدت ان تسببي مشاكل كنا اعتقدنا اننا انتهينا منها وتخطيناها.»

طأطأت ميريل برأسها قائلة: «فهمت.»

نظر راي إليها بصمت لبرهة وجيزة ثم قال: «لذا، كان لي سببين وجيهين لأفصل ما بينك وبين روب.»

نظرت إليه ميريل مستغربة وقالت: «لا افهم شيئاً.»

كرر قوله: «السبب الأول، انني وبعدما سمعت تلميحاتك، اعتقدت بأنك كنت على معرفة بصداقة روب وإليز واردت ان تنتقل الصداقة اليك ايضاً. ولم أعرف بأنني أنا الذي كنت

تعتقدينني صديقاً لاليز حتى آخر يوم لك في الشركة.»

قالت ميريل بكآبة: «ولم امنحك اية فرصة لتوضح الأمر لي، ولكن ما هو السبب الثاني؟»

ابتسم راي قائلاً: «السبب الثاني هو جمالك الساحر. وقد اختبرت لعدة سنوات عبث ولهو روب... هل عليّ ان اضيف أكثر من ذلك؟»

أجابت ميريل بلطف: «لم اشعر ولا بأي وقت من الأوقات انني اميل إلى روب، كل ما في الأمر انني معجبة به ولا شيء أكثر من ذلك.»

«لم ادرك ذلك سوى الآن.»

ضربت ميريل كفاً بكف قائلة: «آه، يا ليتني كنت أعرف بصداقة روب وإليز... لقد جعلتني اغرق بكآبة لعدم قولك لي هذا.»

قطب راي جبينه قائلاً: «وما الذي فعلته أنت بي؟ لقد كرهتني!»

قالت ميريل بصوت ضعيف: «كان علي ان اتصرف كذلك، بسبب... بسبب...» ولم تستطع ان تكمل ما ارادت قوله.

نظر راي إليها متأملاً ثم قال: «سأحضر شراباً منعشاً لكلينا.»

خرج من الغرفة وشعرت ميريل بأنه اراد بعمله هذا ان يمنحها فرصة لتهدىء من نفسها. فاستراحت في مقعدها واغمضت عينيها بارتياح من الحديث الذي دار بينهما.

قال لها راي عندما عاد بالشراب المنعش: «اتشعرين انك افضل حال الآن؟ يا لك من فتاة بائسة... لا بد وانك عانيت الأمرين، لكنك لم تعاني وحدك بذلك، لقد جعلتني اعاني مثلك تماماً وكنت اسيراً لاوهامك وظنونك.»

«آسفة لذلك. لكنني كنت احاول ان احل العقدة بينما كنت أنت متهمي الأول.»

كانما راي تنبه لأمر ما، فقال فجأة: «ريتشارد؟» ونظرت إليه ميريل وقد تملكها رعب شديد.

تابع راي قائلاً: «لقد كانت سيارته متوقفة امام منزلك في الصباح الباكر لحفلة خطوبة روب.»

أجابته ميريل بسرعة: «وهل اعتقدت انه امضى الليل في منزلي؟ لقد اوصلني حينها ثم تناول فنجاناً من القهوة معي ولما عاد إلى سيارته، لم يستطع ان يدير محركها، فاضطر إلى ان يتركها في مكانها واستعار سيارتي ليتمكن من العودة إلى الفندق. وها هو الآن في مكان ما على ما اعتقد وقد صادف انه في المنطقة ليلة حفلة خطبة روب، هذا كل ما في الأمر.»

التفت راي إليها مبتسماً وقد زالت شكوكه باكملها ثم قال: «لقد اسأت تقديرك، ويجب ان اعتذر اليك. لكن لننسى كلانا كلمة الأسف، بالمناسبة، تبدين مختلفة اليوم.»

«اعتقد ان ذلك بسبب القبعة التي ارتديها.»

مد يده وسحب القبعة عن رأسها قائلاً: «قد يكون الأمر كما تقولين.» ثم قال بعد ان اخذ يتفحص ملامح وجهها: «لا، ليس من القبعة. انك تبدين الآن مرتاحة الفكر وقد انعكس ذلك على وجهك بصورة واضحة.»

كانت ميريل تشعر فعلاً بأن حملاً ثقيلاً قد انزاح عن صدرها. واضاف راي قائلاً: «هل آمنت الآن بأن وفاة إليز لم تكن سوى قضاء وقدر؟»

«اعتقدت بأنها كانت تفكر بمشروع هام وفقدت قدرتها على التركيز بينما كانت تقود سيارتها.»

«هذا ما يحدث احياناً لسوء الحظ.» ودقت الساعة من مكان ما في المنزل، فقال راي: «انها الرابعة صباحاً، وانه ليس بالوقت المناسب لأقول ما اردت قوله دوماً... يجب ان يكون هناك ضوء قمر ونجوم ساطعة وموسيقى عذبة... لكنني سأقول ما اريد قوله وفي اية حالة من الأحوال... أحبك، لقد دخلت إلى حياتي واضفت عليها طعماً جديداً لم اتذوقه من قبل.»

نسيت ميريل آلامها التي لم تفارقها منذ عدة أسابيع وهو يعلن أمامها بحبه لها.

اتسعت عينا ميريل عندما تابع يقول: «ميريل، هل تتزوجينني؟»

لم يخطر ببالها قط ان يوم زفاف روب سيحمل إليها اعلاناً بالحب وعرضاً بالزواج في نفس الوقت. بل أكثر ما كانت ترجوه هو ان يكون راي متفهماً عندما تقص عليه قصتها.

ارادت ان تبكي مرة أخرى، ولكن من الفرح هذه المرة، فراي لم يكن فقط متفهماً بل محباً أيضاً.

كرر راي قوله: «أريد الزواج منك، فلا تكوني متبلدة الذهن يا عزيزتي أو ان تقولي فاجأتني بالأمر، بينما هو عكس ذلك. ففكرة الزواج منك كانت في رأسي منذ ان كنا في بروجز.»

اقترب منها وطبع قبلة على خدها، فتناهى إلى سمعها في تلك الاثناء صوت باب سيارة يقفل في الخارج.

سمع بعد ذلك صوت ستيلا منادياً: «راي؟ اين أنت؟ هل ميريل معك؟ سينقلني توم إلى البلدة واتساءل ان كانت ترغب ميريل في ان نوصلها إلى منزلها.»

نظر راي متسائلاً إلى ميريل وقال: «ماذا تقولين يا عزيزتي؟»

همست قائلة: «وما الذي تعتقده أنت؟»

أجاب راي: «اعتقد بأنني أكثر سعادة من روب.» ثم قال بصوت عال كي تسمعه ستيلا: «شكراً لك، يا ستيلا. فميريل تود البقاء هنا.» وشعرت ميريل عند ذلك بفرحة لا توصف في قلبها ونظرت إليه بعينين مشرقتين قائلة في نفسها، نعم، سأبقى... لكنني سأبقى في مكاني الوحيد، ألا وهو قلب راي.

تمـــت

www.elromancia.com